

فین عوضین

الطبعة الأولى - عن النخبة للطباعة والنشر والتوزيع

2019 - 1441

رقم الإيداع: 17587 / 2019

التقييم الدولي: 5 - 377 - 838 - 977 - 978

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

6 شارع رجااء عبدالرسول، المتفرع من شارع وادى النيل



01288688875 - مصر - الجيزة - أمام سور نادى الزمالك - الجيزة - مصر

E-mail: alnokhoba@gmail.com

يمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات، واسترجاعها من دون إذن خطي من المؤلف.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي الناشر

طبع في مصر

فین عوضین

روایت

د. مصطفیٰ ہاشم (د. اوزوریس)



2019

للهراء

إلى التي علمتني ورحلت .. سلامًا

إلى أبي وأمي وإخوتي

إلى التي حلمت بي يومًا كاتبًا

إلى ذلك الآتي ولم يُولد بعد

إذا أتيت فقل سلامًا على من رحلوا

نعم أنا حالُّمٌ وسأظلُّ كذلك أفعلها مجاناً لكل أولئك
الذين أعلمهم جيداً كما لم يكتشفوا ذواتهم، كما ستظلُّ
تلك الأحلام ضلالات حتى يؤمن بها الذين أعاقوها يوماً
ما.. عندها سيصبحُ الضلالُ هو العقيدة ذاتها..

د. مصطفى أوزوريس

الكويت

29 أغسطس 2019

الجزء الأول

الفصل الأول

راح فين

كانت تلك الجملة حينما سمعها للمرة الأولى في سنته العاشرة
بمثابة حلمه الذي بات يتكرر يوميًا وأصبح إبعاده عن خياله من
رابع المستحيالات.

ألا يجد أخيه الأكبر منه بعامٍ واحدٍ حسانين بعيدًا عنه، جاثمًا
على صدره كل ليلة.

كنا ننام خلف خلاف نظرًا لضيق السرير.

كنوح عليه السلام قام والدي بزراعة أربعة أشجار كافور بعد
استئذان العمدة وتعهد للعم عدوي بإعطائه وعدًا بعدم سقوطها
على التربة التي تفرشها نباتات العديس، ويقوم والدي من فترة
لأخرى بسحبها غير عابئٍ للثعابين التي كان يأمرني بالابتعاد عنها.
ابعد يا ابني.. الحتة دي مليانة تعابين غطي نفسك وابعد.

المارة أيضًا كانوا يتغامزون على والدي،

غلاية والله..

ده التربة دي السمك مخصصها يا عليوة.

كان منظره بلباسه الذي تلَوّن بقعر التربة مبررًا لابتسام الأطفال.
طب امشي أنت وهو لأعوصك طين..

بتشيله ليه يا ابه

عشان المية تمشي يا ابني وكمان أمك بتحطّه أكل للطير.
عرفت لما كانت والدتي عطيات عبد المنعم مجاهد تأمرني
من آنٍ لأخر بأخذ الأوز في رحلة استجمام للترعة.
والنبي أنت هتفضل حزين وخايب..

ليه يا امه

سايب الوزتين يمشوا كده في التربة للبر الثاني
مستني إيه حد ياخذها ويدخلها في الوز بتاعه
ما صدّقت كبرتهم يا ابني.

انتظرها أبي حتى نمت وقطّعها وجففها وأخذها على حمار
إلى ورشة المعلم عبد الحميد،

ناوي تعملها سفينة والا إيه يا عليوة

آه للعيال يناموا فيها بدال ما هم راكبيننا
يا دوب يا عليوة تكفّي سرير وعُملل.

عادي يا امه.

أبوة اسم الله عليك، قاعد تعمل في سفينة ورق وتحطها في
المية وسارح معاها .

علمني حسانين كيفية صناعتها من ورق الكراسة والتي
أصبحت بربع عددها في طريق إجادتي لها، حتى بتّ أصنعها
وبها عود كبريت أعلّق عليه علمًا ليصبح دولة .

في الواقع كانت دولتي وكان العلم أبيضًا، أنا لا أعلم إن كانت
هناك دولة لها علم أبيض .

دومًا يختارون جميع الألوان القاتمة التي تتمحور حول الأحمر
والأسود ومشتقاتهما .

آه يا ابن الصرمة،

شوفي الواد التلفان مخلص الكشاكيل على السفينة ..

اجري يا عوضين،

اللي بيروح يا ابني في البلد دي ما بيرجعش

ربما من كثرة صناعتها وإجادتها قد حملت أول أفكارني نحو
السفر والهجرة .

أكيد يا حسانين السفينة اللي هتسافر فيها أكبر من دي .

اسمها باخرة يا عوضين وليها دورين ..

يا سلام .

ما أنا شفقتها أما رُحّت مع أمك نودّع خالك عبد المتجلي .
 وأمك قعدت تعييط،
 هي كده علطول ..
 هما الستات كده نكد، أبوك بيقول كده ..
 لا يا حسانين أمك مش نكدية .
 في الواقع لا توجد امرأة تعشق النكد ولكنها خُلقت للأنس، ولا
 أنس مع فقر وإجهاد كما أنها دائماً تتصرف كرد فعل .. تلك فطرتها .
 مالك يا امه بتعيطي ليه
 أبوك حدفها بالبُلغة ..
 ليه يا امه .
 افكرت خالك عبد المتجلي فغصب عني عيني دمّعت، خمس
 سنين ولا جواب ولا خبر عنه .
 قال عليها نكدية .
 معلش يا امه ..
 مش قلت لك نكدية ..
 لا .. إنها تتصرّف كرد فعل كما أخبرتك على ذكرياتها التي تم
 التضحية بها وعلى الحنين الذي لم يأتِ على خاطره وخاطر أبوك .

أيضًا والدي تصرّف كرد فعل علي فقره الذي جعله يحيا في
نكد لم يتحمّل أن تزيد أمي قليلاً.

خلاص عشان خاطري بطلّي عياط.

غلابه والله..

أيوة واوعي تزعلي حقك عليّا.

يا سلام يا اخويا..

ما خلاص بقى وقومي خدي دي،

دوما يصلحها بقطعة كبيرة من الهريسة، حيث لا طعم ولا
رائحة سوى شكلها ولونها. لكنها كانت تبتسم وتتادي.

يا عيال تعالوا كلوا..

في الواقع كانت تأكل فتاتها وتضع أصبعها في فمها،

الحمد لله.. ربنا يخليك يا عليوة.

أتعلم يا حسانيين ما هي أجمل الأشياء في الأنثى.

إيه يا فزلوك.

رد الفعل..

لكن بعض الرجال لا يجيدون الأفعال.

طب خشوا ذاكروا شوية..

هما أيضًا قد ابتلعتهم غرقتهم حتى الصباح.

حاضريا امه ..

أنا رايح أهه.

حينما يُسأل أمامه يوميًا عشرات المرات عن شخص كان

يحيا بينهم.

راح فين.

في بلاد برة ..

فرايع المستحيلات بعد الغول والعنقاء والخِل الوفي أن أظل

هنا ولا أهاجر ككل هؤلاء هروبًا من غول الفقر والجوع، حتى إن

كانت العنقاء تقف في طريقي.

يتشكّل حلمه سريعًا يوميًا أمام الجميع حتى بات يهفو مثل

أربعة آلاف من أهل بلده بحمل هذا اللقب.

سمع أن بعضًا منهم يقدر بألفين قد لقوا حتفهم وجرقتهم

أمواج البحر العاتية بعد أن ألقى ربّان السفينة بهم لمواجهه

قروش البحر.

لكن قروش المال وغيلانه هي من لفظتهم أولًا، وكان شوقهم

للتحصّل على قرش كصعوبة مهمة إعلان اكتشاف وجود العنقاء

من علماء الأنثروبولوجي.

لكن في بلاد برة،
أظن أن الله لم يخذلهم فقد كانوا دومًا يتشوقون لمقابلته..
القرش.

حرام عليك يا عوضين قول الله يرحمهم..
ويرحم أبوك عشان خاطر ربنا إفهم وذاكر شوية
راح فين عوضين.
سافر بلاد برة..

يفكر بها أثناء وجوده في المقعد الأخير في فصله في مدرسته
الإعدادية في قريته التي تقبع أيضًا أسفل الخريطة.
ميت مهاجر،
في الواقع أن الأجداد كانوا قليلي العدد وكان العدد مائة هو
ما يعرفونه.

ما هو كان فدان الأرض بعشرة جنية يا عليوة
والعمدة كوش عليها بكم مية.
فلذا أطلقوا عليها مائة لكن العدد يربو على ذلك بالألف.
المنطق يقول إنه لا بد من تغيير اسمها إلى ألف مهاجر،
لكن ذلك يستلزم مخاطبات ومراسلات واجتماعات وتوصيات

وقرارات ولجان عامة ولجان منبثقة عن لجان مختصة تؤجل اجتماعاتها آلاف المرات ربما تكلف مليون قرش.

أيضًا السادة أعضاء المجلس المحلي لن يوافقون إعمالاً لمبدأ ﴿إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾ [الزخرف: 22].

ربنا يهديه يا أستاذ.

مش باين يا عطيات..

كل ذلك جعله لا يطمح بمُعاقره كتبه ويهفو قلبه يوميًا لخارج أسوار مدرسته.. ميت مهاجر الابتدائية الثانوية الإعدادية النموذجية المشتركة.

يحرق أبو اللي جابوا أبوك،

قاعد سارح في الفصل وكمان بتهرب كل يوم من المدرسة..

كانت المدرسة أيضًا كالسرير الذي صنعه والدي فصولها ضيقة مكتزة قليلة العدد ولذا كنّا ندخلها خُلفِ خلاف.

الصبح حتى العاشرة للابتدائي ثم يبدّل دخول طلبة الإعدادي والثانوي وينضم هؤلاء لهؤلاء ويُحشر الصغار مع بعضهم حتى نهاية اليوم الدراسي.

الدفّا حلو بردو يا عطيات.

طيب سيب شوية خشب نولّعهم الصبح للعيال.

الأستاذ اهه جاي يقولها:

أنت عاوز تحرق البلد يا عليوة إيه النار دي كلها.

أهلاً يا أستاذ عبد المنعم..

في الواقع أود أن اشكره أبي على هذه اللعنة فربما وصلت إلى أحد الذين شاركوا في التسمية وسمموا أفكارى طوال ستة عشر عاماً.

ده احنا اللي مكسوفين منك يا أستاذ،

تاعب نفسك وهامك مصلحته،

ويا ريته يفلح.

طب كنت اضربه يا أستاذ..

ضربته كثير مفيش فايده وتنبح صوتي،

يا ابني أبوك راجل غلبان وأمك بتشتغل شغلتين.

في الواقع كان أبي غلبان ولا أدري لما كان جدي يحمل لقب

السعيد.

عليوة أسعد السعيد.

أهي أسماء.. يعني كانت المدرسة نموذجية..

كان مزارعاً متبوعاً بكلاف فمناطقياً لا بد أن يكون لقب جدي

الغلبان.

ما أنت شايف يا أستاذ الحال على عينك،
 واللي ما يشوف من الغريبال يبقى اعمى،
 ناولني يا واد المنخل.
 ما تقعد يا أستاذ..
 نص فدان وبزرعهم بالنص عن العمدة.
 حقًا لقد ذكر أبي حرف الجر صحيحًا لغويًا..
 وجاموسة مربيها بالشركة معاه تجيب بق لبن للعيال.
 كلمة واحدة حتي ينطقها أو يعربها لا ممكن أبدًا،
 أمي أيضًا كانت تعد منها الجبن والزبد والمش، لكن الجملة
 قد نقصت كلمة جعلتها تبدو غير منطقية لهم.
 لكنها كانت تترك المورته لنا.
 كتلك الجاموسة أيضًا تعطي العمدة ولدها وسرسوبها وتترك
 لنا المورته.
 متعرفش الكلام اللي بحفضوهوله بيتسرسب منه فين.
 آجي أسأله ولا كلمة يجاوبها صح.
 إضافة إلى تربية بعض الأوز، حيث تقوم بتزغيطه بعد
 قيامي بالركض وراءه في الشوارع حرصًا عليه بأن يختلط
 بطيور الجيران.

اجري يا عوضين ليخش أي بيت والا حمار يدهسه،
 يدهسك قطر البوخارية يا شيخ بقى ولا واحدة جاوبتها صح
 في الامتحان.
 امسك.. حلق يا حسانين..
 أهه يا امه..
 هاته جاله رمية..
 عاوز يعني تقعد جنب أمك تزغط الوز والا تشيل الجلة زي
 ابوك.

تجلس لتضع فخذها على صدر الأوزة.
 شوف بقى عامل إزاي يا عليوة دكر الوز..
 بالهنا والشفاف يا ستي على الأكلة..
 فتمسكه بيديها وتضع حبات الذرة،
 تصدق الإدارة بقت الكيلة بجنيهين.
 مش معقول يا عطيات..
 الدنيا راحت في داهية يا عليوة.
 معلش بكرة يعوض تعبك الواد عوضين،
 وبكرة كمان سوق الاتنين.
 امه..

أيوّة يا حسانين.

ما تدبجيه ناكله.

كلك جلدك يا أخي.. أمك هتبيعه ونجيب بحقه زرعيه بصل

على شوية توم وبذور جرجير

يا دوب حفانين.

هاتيهم إنتي بس وربك هو المُعين..

اتلمي يا مرة وداري كوارعك.

مالك يا عليوة مش باينين.

مش باين عليه نجاح.

قولي يا رب يا أم حسانين،

قوم يا واد ذاكر لك كلمتين وانجح يمكن تكون دكتور ولا

مهندس وتريحهم شوية.

جبلّة.

لا.. حد الله ما أنت ضاربه يا عليوة استهدى بالله،

إخضى من قدامه الساعة دي.

راح فين عوضين يا ابه.

في حرارة..
 معاه حق الواد يا عطيات،
 ما هو الحال زفت.
 ابنك يا عليوة شكله إنسان عملي.
 عمله أسود بعيد عنك يا أستاذ،
 لا بيذاكر ساعة على بعض ولا حتى بخليه يروح معايا غيظ،
 وكمان تطلع درجاته زفت كمان في المدرسة.
 يعني عاوزه يطلع دكتور ولا مهندس يا راجل
 ما هم كلهم في بلاد برة.
 الدكتور عبده والمهندس زين ابن الحاج اسماعيل وأخت عبد
 الحليم و ابن صابرين ومحمود أبو سفين.
 بقي كل الناس دي بقوا مسافرين.
 الله.. هو أنت مش عايش معنا ولا إيه.
 والله يا أستاذ أنا بصمجمي من الغيظ للبيت للزريبة.
 يا اد يا حسانين شوف أخوك راح فين.
 عوضين..

امال مین یا حزین .

بیذاکر یا ابه .

لوولووولی ..

ابقوا تعالی تفوا علی قبری انتوا الاتین ..

الفصل الثاني

إسمي أيضاً يحمل لقبين .. عوضين

ربما أنجح في جعلهما عوضين .. عوضاً لوالدي وعوضاً
للدولة ومدرستها النموذجية، وعوضاً لوالدتي وعوضاً للأستاذ
عبد المنعم الفوّال الذي لم يتركني لحظة منذ وفاته وساعدني
في العودة للعلم.

في الواقع فقد مات رحمه الله بعد أن قام ثعبان بلدغه بعد
أن أقسم له عم كمال بأنه شاهد حيتان في التربة.

رايح فين يا عليوة.

أجيب حوت ولا اتين للعيال يا عطيات يتغذوا بيهم.

فين بقى يا كمال.

ما الميه قدامك أهه شايف البقايش دي،

دي حيتان طالعة على وش المية.

لكنها كانت تعاين ..

الله يرحمه غلبان وساب عُلبين حسانين وعوضين.

اجمدي يا عطيات ..

ربنا يجعل فيهم العوض هما الاتين .
فلم ينطق ولم يوصي كالعادة كما نسمع في القصص أو في
حكاوي التليفزيون .

الغلابه لا يوصون، إنهم فقط يعملون أمام فريق يلاحظون ..
لكن بعضهم بكماً وصماً لا يعقلون .

كنت حاضرًا منذ البداية بكل جوارحي فقد حملته عم كمال مع
لفيف من الجيران وجاء العمدة مهرولاً للوحدة الصحية ليثبت
أمام الجميع أن والدي لم يُصب إصابة عمل، وأن ما تسبب في
قتله كان رحلة صيد .

كما قام طبيب الوحدة الصحية بتوقيع كشفاً في معظمه
عاطفياً رابئاً على كتفيه في الوقت الذي كانت الإصابة تسري
من الكاحل للقلب مما أعطى السم الوقت الكافي للتجوال، وهو
ما لم يتوفر لوالدي ليوصي .

أظن أنه قد اقتنع بما أراد العمدة إثباته، وأنه كان في رحلة
صيد يحاول فيها اكتشاف وجود حوت العنبر في ترعة ميت
مهاجر، مرتدياً شورت وتيشرت مع بايب متحدتاً للإعلامي كمال
عبد الصبور أثناء المهمة الكشفية، مما حدا بالجميع لعدم القلق
ولكونها عضة مُحب لعالم يعرف منتهاها ومقصدها .

معقول الوحدة مفيهاش أي خرا دوا أو سم هاري.. الراجل
بيموت.

نطقها عم كمال غاضبًا من الطبيب الذي كانت كلماته لم
تخرج عن: إن شاء الله هيبقى كويس.. استحمل يا عم عليوة..
مفيش خوف عليه..

وزادها العمدة: احنا معاك مش سيبينك قوم يا راجل امال
مين هيزرع النص فدان ويترب تحت البهايم..

شكله يا عمدة عاوز يزرع فدان لوحده.

وماله يشد حيله وياخده.

قالها الطبيب وتركنا لياشر تفتيشًا دوريًا على القوة البشرية
للعمة عيداروس اللبان.

لكن الموت لم يتركه ليتمتع برفاهية دقيقتين يوصي فيهما
بأي كلمة لولديه، لكنني قد تخيلت كلماته.

خلي بالك من أمك يا عوضين وأخوك حسانين،

والنفت لمذاكرتك يا ابني، أنا شايل الطين عشانكم ولا عمري
اشتكتيت، وأمك الغلبانة بتشتغل يا ابني أربع شغلانات.

أم وزوجة وراجل معايا في الغيط وبتروح السوق تتاجر في
الوز، وده كله عشانكوا.

أنا يا ابني سايبكوا للزمن، ولازم تطلع حاجة حلوة.
 العلم كويس يا عوضين أنا مرضيتيش اطلعكوا من التعليم،
 مش عشان الفلوس يا ابني،
 العلم بيخليك محترم مش كلاف. الناس كلها يمكن تكون
 أغني منك ساعتها لكن كل واحد هيشوفك
 هيقولها: أهلاً يا أستاذ.
 مش يا عليوة..

في الواقع كانت تلك المرة الوحيدة التي سبقت اسمه كلمة
 عم.. لكنه حتى لم يسمعها لدخوله في غيبوبة كما سمعتها أنا
 أيضاً بعد وفاته.

هل يجب علينا ان نحترم البعض بعد وفاتهم.
 وهذا أمر غريب، فكل المكرّمين في جوائز الدولة يتسلمون
 شهادات التكريم .. ويتسلمها عنه
 فلان.

ابن الكلب مدير الوحدة فين.
 أقسم بالله لو اشوفه ها عوصه طين من قعر الترعة.
 قالها العمدة منفعلاً..

أظنه أراد المزايدة أمام الحشد الذي زاد في مصمصة الشفاه.

لا حول ولا قوة إلا بالله

ادعوله.

وهل لا يجب الدعاء لشخص إلا حين يُشرف على الموت.

وهل لا نجتمع لمساعدة أحدنا إلا إذا كان في مصيبة مباغتة.

كما باغت الموت والدي على إثر انتشار السم سريعاً.

كان تعبان شراقي.. لا بد في الطين.

أعلم أن العمدة لن يوفي بقسمه فهو لم يلمسه سابقاً.

كان أبي من يتكفل عوضاً عنه وعمي كمال أيضاً،

كما لمحت دمعاً في عينيه ذكّرني بعلاقتهما الوطيدة.

فاكريا عليوة أمّا كنا صغار ليلة العيد.

آه.. كان عندي ١١ سنة وعمري ما لبست بُلغة،

أمي الله يرحمها اشترتها لي فخذتها ونيمتها في حضني،

فاخويا الصبح قالني طلّع البهايم الغيط يا عليوة.

يا ابراهيم انهارده عيد وعاوز البس البُلغة.

وادي البُلغة وراح مقطّعها على راسي..

مشيت خدت البهايم ع الغيظ وربطهم وحشيت ليهم برسيم
 وقعدت أعيط . شايف العيال معديين عليًا لابسين لبس جديد
 وكل واحد معاه بُلغة، فضلت قاعد في الشمس لحد ما جتني
 ضربة شمس، لقيت أخويا ابراهيم بيقولها..

خلاص يا عليوة حقك عليا يا اخويا خف أنت بس وأنا
 هشتريك بُلغة أحسن منها .

وأمي وراه بتعيط:

حرام عليك يا ابراهيم حتى مش راحمه يوم العيد .

أظنه قد تذكرها أيضًا ..

قوم يا عليوة وأنا أجيب لك حوت ولا اتنين قالها العمدة
 مبتسماً ..

لكنه لم ينطق ولم يرد بل كان يدمع واجمًا كما أدمع سابقًا، وكان
 يدور ببصره في الغرفة كأنه يبحث عن شخصٍ ما حتى وجده .

نظر لي نظرة لم تفارق خيالي، نظرة منكسر متعلق بشيء لم
 يتحصّل عليه .

لقد كسره الزمن أيضًا بغتة وحرمه حتى من اليوم الذي كان
 يتخيله .

يا سلام يا عطيات: يا ما نفسي يجي اليوم اللي أقعد أنا
وإنتي فيه كده مرتاحين بعد العيلين ما يكبروا ويريحونا..

في الحتة اللي بتحلمي بيها، أنا تعبت يا عطيات.
وكانت الكلمات التي تخيلتها.. قد قالها حقًا في ذلك اليوم
الذي دخل الي حاملًا كوب الشاي بعد أن جلس مع الأستاذ إمام
النار منذ ثماني سنوات.

ما تزعلش يا ابيه وحاضر هسمع كلامك..
لكن هذه المرة تحديدًا بجد وعد مني لك وفي العالم الآخر
مسيرنا نتقابل.

قالتها أمي..

حين خرج من المنزل للمرة الأخيرة:

الله يرحمك يا حبيبي.

وكانت تلك بداية قصتي الحقيقية..

الفصل الثالث

وكما كنت أتوقع.. أرسل العمدة ذراعه اليمنى لوالدتي بعد الوفاة بعشرة أيام و لم ينتظر حتى الأربعين.
ما هو عمك كمال الله يكرمه شال النص فدان عشرة أيام عشان عضم التربة.

في الواقع إن الجثث تتحلل في وقت أطول من ذلك،
كتر خيره يا عم عدوي.

كلنا نعرفه بهذا الاسم.. فإذا ذُكر العم .. ذكرنا بعده عدوي.
كان ناظر أملاكه التي تربو على ٢٠٠ فدان في قلب البلد
وأيضًا أولها وآخرها.

ده بيوتنا دي يا عوضين في أملاكه أصلًا، وكلنا ساكنين من
غير عقود.
وساكت.

آه ما هو احنا بنزرع في أرضه. التي يراعيها عم عدوي.
كان عم عدوي يعرفنا جميعًا كأنه مباحث لديه لكل منّا ملف
فيكفي أن تذكر له اسمك،

أنت ابن مين يا ابن الكلب.

عوضين..

ابن عليوة.. أبوك راجل طيب وغلبان وأمك عطيات بنت عبد المنعم وبنت نحمده، الله يرحمها اللي أمها رئيسة.

لم نكن لنغضب أبدًا جميعنا كبارًا وصغارًا من سبه لنا.

يا واد هو اللي مربينا كلنا وراجل طيب وكلنا تخرجنا علي أيديه في الغيط.

في الواقع كنت أراه كذلك وكنت أغضب إذا رأني في أحد المرات ولم يُطلقها في وجهي ضاحكًا:

أزيك يا ابن الكلب بصوته العالي.

في أحد المرات شاهدته يؤذّن وقت صلاة الجمعة، وكانت تلك المرة الوحيدة التي رأيته فيها يصلي معنا نحن أهل البلد.

كان صوته جميلًا وقويًا ونفسه طويل.

أيوه.. وأنا رايح جاي عليكم يا ولاد الكلب والله اللي هشوفه بيرمي زباله وريش الطير هنا لوديه النقطة،

لم مراتك يا عصام وأنت يا امام لم فكيهة،

مش عاوزين مشاكل والراجل زعلان ودي أملاكه

ساييها فاضية عشان يلم فيها الغلّة مش ترموا فيها زباله .
لا أحد يرد عليه بل بيتسمون فقط .
في الواقع كان حلقة الوصل بين العمدة بجبروته والمزارعين
بُغلبهم، وقد أحسن اللعب على الوجهين،
فلم يصدر ذات مرة أي شكوي من الغلابة ضده،
حمًا كان رجلًا طيبًا، رحمه الله أيضًا .
لكن الجرن وهكذا عرفناه، لم يكن يُشغل بالغلّة إلا في مواسم
محددة وكنا نشغله بالكورة . كورة من الجلد نلعب بها كل يوم دون
إحماء وماء ودون حتى جمهور وعوارض وشبكة .
في الواقع دون حكم أيضًا فلم تُسمع أي صافرة
إلا صافرة القطار الذي نراه من بعيد .
يلا يا عوضين كفاية لعب وتعالى ذاكر لك شوية، قطر سبعة
عدى اهه يا ابني اليوم راح .
مرات كنت أسمع لها وأخرى أعاند حتى صافرة قطار
العاشرة .
وفي بعضها لا نشعر إلا وعم عدوي مهرولاً نحونا يمسك
بالكرة ملوحًا بعصاه الغليظة التي بات يستند إليها :
يا ولاد الكلب يلا كل واحد على بيته .

ما تخلي العمدة يعمل له باب يا عم عدوي..
 اسكت يا كمال، خلي العيال تلعب ده هو نفسه يقفل عليكم.
 اتقفل عليه باب الرحمة..
 لا يرد ويمشي بعكازه يتابع أحوال المزارعين:
 قلتي إيه يا أم حسانين.
 الله يرحمه مات وأنت عارف العيلين في التعليم، واحد منهم
 في تالطة اعدادي والثاني في أولى ثانوي.
 يعني إنتي هتزرعي الأرض يا عطيات.
 لا يا امه اوعي..
 اسكت يا ابني أهو شوية رز على غلّة على توم وبصل ونواية
 تسند الزير لحد ما تتعلموا.
 طب أنا هطلع من التعليم.
 لكنه ردها فوراً: تطلع مين يا ابن الكلب والله اعوصك طين
 من قعر الأرض لو شفتك فيها،
 اتعلم يا ابني العلم كويس.
 عشان كده بقول أزرعها أنا يا عم عدوي.
 يا عطيات الأرض عاوزة راجل والعمدة.. ما أنتي عارفة.

طب شور عليّ يا اخويا..

أنا هكلمه تاخدي لك قيراطين بس والباقي ياخده كمال
يزرعه على أرضه اللي زارعها.

واعمل إيه بقيرا طين.

ازرعهم توم وبصل وفجل وجرجير، وكده سهل شوية ويكون
معاكي فلوس كل يوم عشان العيال،

لو فرشتي هنا قدام البيت الناس هتشتري منك.

والله فكرة حلوة يا عم عدوي.

ادعي بس يوافق.

البركة فيك والشورة شورتك يا راجل طيب

طيب سلام عليكم، وادخل يا ابن الكلب شوف مصلحتك.

الله يرحمك يا عليوة ارتحت وسببتي للهم.

هو الموت راحة يا امه.

للالغلبة اللي زينا يا حسانين. خد اخوك وخشوا ذاكروا.

حاضر يا أمه.

تعودت عليها..

حاضر ونعم وكذلك أخي الأكبر، منطقيًا لم يعد هناك ترف

للفرض بعد وفاة والدي، فقد باعت والدتي الجاموسة للعمدة.

هكذا قالت لنا .. واشترت بذور للقيراطين مع ملابس جديدة لنا للمدرسة التي أصبحنا لا نتقيّد فيها بارتداء المريّلة .

أشعر وكأننا ضباط تدرّجنا حتى عملنا بالمباحث بلباسهم المدني، لكن الأمر يبدو منطقيًا بالنسبة لهم حتى يمكنهم الاختفاء بين المدنيين وتشكيل عبئًا على المجرمين .

نحن أيضا شكّل ذلك عبئًا على كاهلنا مستقبلاً .. حيث الانطلاق في رحلة التفرقة الاجتماعية ..

وُلدنا عرايا ثم ارتدنا جميعًا زبًا موحدًا حتى نهاية الصف الابتدائي .

الآن فقط علينا البدء في تصنيفكم ليعلم كل منّا قدره .. كان هناك كثيرون لكل منهم بنطلونين وقميصيهم وربما ثلاثة، وقميص وبنطلون لكل واحد مع جزمة سوداء كان لكل من في طبقتنا .

كنت عاوزها بني ..

الأسود ده طلب المدرسة وكمان حشمة يا ابني ..

ردت والدتي وتناست أنه أيضًا أقلّها احتياجًا للتلميع وأكثرها تحملاً ومشقة وأصعبها خلغًا للمرأة بعد وفاة زوجها، وأكثرها رؤية عليها، كما أنه لون منطقي يتشابه وتربة أرضنا وسمرة بشرتنا ومستقبلنا .

ما تقولش كده يا حسانيين،
المستقبل بإيد ربنا والراجل الصح يتحدى الظروف والناس،
عشان يكون حاجة. أبوك كان عاوز كده.
حاضر يا امة.

عرفنا فيما بعد إنها قد باعت حلقها .. قطعة الذهب الوحيدة
التي تملكها لشراء كل ذلك، لأن العمدة اعتبر أن القيراطين طالعين
من حبابي عينه وما فعل ذلك إلا لأجل سواد عين عمي عدوي.
ما هو كده الأرض بقت بتاعتها يا عدوي،

هي هتبيع وتحط في حجرها ولا اقدر أطلعها عشان كلام
الناس، هو احنا يعني هنعد عليها البصل بالراس والفجل
بالربطة.

وكان ذلك السبب وراء عدم خلعها للإيشارب حتى داخل
المنزل حتى لا نلاحظها دون حلق،
كانت تتمتع برقبة طويلة كانت تظهرها دومًا أمامنا ويثني
علي ذلك والدي.

لكنها الآن تخبئها كما تخبئ امرأة تمشي في شارع عام
كرامتها التي أهانها زوجها الآن بكلمة نابية،
كانت أمي تبيعها أمام المنزل وفي السوق ربطتين بربع جنيه.

معلش يا عمدة الناس غلابه وبتربي في يُتَمَا .
وكانت أمي تقولها دوّمًا للجيران الذين يأتون سريعًا لطلب
جرجير وفجل وبصل على وجه السرعة .
بصلتين يا عطيات وربطة فجل .. حاطه الأكل للراجل يا اختي
والفلوس بكرة . اكتبني عليًا .
أمي لم تكن تكتب لكنها كانت ذكية جدًّا ..
آه لو تعلمت كان زمني وزيره والا سفيرة يا ولاد الكلب .
أبي كان دوّمًا يرد .. الذكاء اللي فيكوا ده منها . معاها حق ..
عندها ذكاء يتوزع على مديرية بحالها .
طب وأنت يا ابيه .
انتوا واخدين منه الصحة . ربنا يحفظه
بيتسما لبعضهما ونحن أيضًا .
الذكاء والصحة قطعًا هما نعمتين التاليتين للإيمان ..
ثلاثتهم تشكّل الكنز الذي يبحث عنه كل منّا وأيضًا علماء
الأنثروبولوجي الآن .
اكتب يا عوضين على عمّتك سميرة ٧٥ قرش من يومين ،
واستني اكتب برودو على مرات العشري ربطتين .

لازمن يا ابني نصبر على الناس، الناس للناس.
كانت تمتلك الذكاء والإيمان وحاولت البحث عن الثالثة عن
طريق الدعاء اليومي: قويني يا رب عليهم.

ويستجيب..

سنوات تمر وهي كما هي تمتع برشاقتها بين الاستيقاظ
باكراً مع الفجر.. تصليه ثم تذهب السوق بعد أن تقوم بتحضير
الفطار وتركه لنا.

بالأمس كعادتها قامت معنا بجمع الثوم والبصل والفجل
والكزبرة والشبت والبقدونس. لكنها فقط من تقوم بمهمة ربطه.
حطوه هنا انتوا متعرفوش تربطوه وخشوا ذاكروا،
تمر عليها قرابة ساعتين جالسة في وضعها لا تخلو من أدعية
لنا نسمعها وكلمات تشجيعية:

أعملك لك شاي يا عوضين.

لا يا امه.. أعملك أنا.

لا يا ابني أنا خلّصت ونازلة الزريبة.

تنزل لجمع البيض ووزن أيها أثقل بنظرة من خبيرة لحبات
الوز لتقوم ببيعهم في السوق لعل وعسى لا أحد يشتري منها
الفجل والجرجير.

اخصي.. طب أحسن..

انكسرت بيضتين، أحسن تقولها دوّمًا .
 اقلوها في زيت يا حسانين وكلوها .
 وهل هناك أحسن في مصيبة .
 نعم إذا كانت تلك أخف وزناً من أخرى وتكمن بها فائدة
 متخفية لم نعرها اهتماماً من قبل كما لا يعلمها إلا هو .
 هو اللي هياكلها أحسن منك .
 ع عيني يا ابني .. يا ما كان نفسي يكون عندي زريبة كبيرة
 خمس ادوار .
 الدور اللي تحت أربي فيه أنارب، وفوقه وز والتالت فراخ
 بيضا وحمرا والرابع للبط .
 والخامس يا امه .
 أقعد فيه أنا وأبوك .
 الرطوبة يا ابني كلت عضمي وما بقتش قادرة أمشي وأنام في
 الشمس براحتي .
 أخ ..
 تقوم من مقامها الأرضي ممسكة بظهرها الذي بدأ في
 الانحناء كغزالة اتى عليها أسد شابع، لا هو قضى عليها ولا هو
 ترك ظهرها دون نهش، بينما تجري بصعوبة في محاولة يائسة
 للفكاك من قدرها .

ملابسها أيضًا كانت رثّة وبها رُقع توسّعت،
لكنها تذكّرُها دومًا بالماضي.
أخ.. أنت فين أراضيك يا اخويا.
غنه منتهى الحزن أن يذكّرك الألم بالألم دون أمل..
الضّم لي الإبرة دي يا حسانين،
مش شايفة يا ابني والنبى..
تحيك ما نُهش من ملابسها بصبر بينما تحدو، كان صوتها
هذه المرة عذبًا وواضحًا وشجي.

قلت يا امه الصبر صابر وتاعب وغلبني
قالت ده طبع الصبر يا ما يا ابني اتعبني
لكن لا تشكي همك إلا إلى ريك
يا ما درت قبلك على ناس وسابتني
ما تعبت ولا دُورت أنا غيرهم
ابن الأصول إن ضرته دنيا يعاندها
الحزن يا ابني لوفي يوم طوّل
يموت قلوبن ويفسدها

صبر قلبيك بحمد واحلم
صبرك ع نفسك ولا غنك تواعدها
واذا ضاقت عليك نفسك
خدها بعيد يا ابني حتى تسعدها
ولا تطاطي للخسيس افهم
في يوم مهما رثيت من حسايدها
وابقى تعالى ارجع لحضن امك
ولا تنسى ما قالت وتعيدها
واقف علي قبرها ونادي
لو شافتك تاني يا ابني
شوفتك تخلددها
أنا يا ابني امك وافهم كثير عنك..
ابن الاصول لازم يكون سيدها
وأكبر منك بيوم شاف الكثير منها
ودي يا ابني دايمن عوايدها
ميتي يا سود الليالي تخلعي توبك

وتریحی م التعب کابایدها

وتریحی م التعب کابایدها

وتریحی م التعب کابایدها

الفصل الرابع

وسمعت صوت باب غرفتها يوصد كعادتها لم تعرج على
غرفتنا لتسألني: أنا رايحة أنام يا عوضين.. جعان.

لا.. امه ادخلي نامي انتي.

طب ذاكر ربنا يعينك.

لم أسمع في تلك الليلة إلا نحيبها وتعيدها ودموعها التي
لمحتها عندما قامت بإدخال الشاي لي.

وكانها كانت ترثو نفسها أو كمطرب حزين يهياً نفسه لإلقاء
مواله الذي تسبب بشهرته أمام حشد بدار الأوبرا لآخر مرة قبل
اعتزاله الغناء.

لقد كنت أتشوق لقولها كالعادة..

حاضر يا امه هذاكر.

وبالفعل كنا نذاكر وقد تخرّج حسانيين من كلية الآداب وساعده
عم عدوي في العمل.

بقولك إيه يا ام حسانيين، انا تعبت وبدور على حد يساعدي.

يمسك حسابات الأرض واهي شغلة مرتاحة، والأنفار في
الغيط ويقيد كل حاجة للعمدة.

اسمع يا حسانيين..

أنا عاوزك معايا في الشغلة دي وكلمت العمدة ووافق. وإنتي
كمان يا عطيات ولا كلمة وأنت يا واد يا ابن الكلب تعالى معايا،
ولا بلاش لتزعل

يا مسيو حسانيين.

ضحك ثم تبعه دون كلمة..

أحسن يا امه يشتغل معاه لحد ما يتعين في المدرسة مدرس
فرنساوي، ويردو نواية تستند الزير ده عم عدوي قال هياخد
35 جنية وهيشغل اربع خمس ساعات ويمكن يكون دراع العمدة
الييمين زي عم عدوي.

يا ابني أنا عاوزة يكون أستاذ مش كلاف.

كل اللي بيشتغل حدا العمدة كلاف يا ابني حتى لو كان أستاذ.

وعرض عليها حسانيين عدم الخروج للسوق

خلاص يا امه ما تتعبيش نفسك.. خلاص بقيت ثابت مع

العمدة وبقي يعتمد عليا.

شوية بس أمّا يتخرج عوضين.

السنه دي ويتخرج وأنا وراه إنتي تعبتي.

ما جتش على كم شهر يا ابني.

سيبني براحتي ولا أنت مكسوف مني ومن فرشتي قدام
البيت والسوق.

أعوذ بالله يا امه، طب إيه رأيك محد هيربط الفجل والجرجير
الليلة غيري، وما حد هيمسك الوز غيري.

مفيش وز لسه صغير ما شالش لحم،
يمكن الأسبوع الجاي أبيع واحدة وأعمل ليكوا الثانية يوم
الجمعة مع حبة محشي عشان عوضين.
الله عليك يا عطيات.

يناديها دايماً باسمها فتبتسم..

ما هو انتوا اتنين واحد اخويا والثاني ابني
سامع يا عيّل.

ينادي مستهزئاً بي فأبتسم أنا أيضاً.
وانتي ارتاحي الليلة واقعدي زي الهانم كده،
يا عوضين اعمل شاي لينا..

لا سيبه يذاكر وأنا هعمل الشاي.

وقامت بإدخاله لي وطبطبت على كتفي ولمحت في عينيها
دمعاً مكتومًا.

لا يا امه سيبيلي الباب مفتوح يجيب هوا مع الشباك.

أستمع لحديثهما وأقرأ في مادة المحاسبة التي أعشقها..
هي من جعلتي أطلب دخول كليه التجارة وأيضًا جعلني مكتب
التسيق كذلك.

لا زراعة إيه.

حلوة يا حسانين بس هي يعني مكتوبة علينا،
مزارع ومعاه شهادة..

مش ده الفرق بس يا عوضين.

أمال آيه.

يمكن في يوم تبقى غني وتشتري أرض وتعمل فيها مزرعة
نموذجية.

لا يا سيدي.. ما هي تبقى زي المدرسة.

أنا بحب السفر،

الزراعة هتربطني بالأرض.

طول عمرك ناويها وعاوز تهجّ، افتكرتك نسيت.

لا.. أنا بس أجلتها عشان أمك وعشانك وآخذ شهادة في إيدي.

تعرف إنهم ما بيخدوش إلا المتعلمين الأيام دي.

يا سلام..

آه.. عمك عدوي قال لي كده.

ألا هو فين يا حسانين.

آخر مرة شفته يوم ما جه ياخدك تشتغل معاه راجل طيب
وقف جنبنا مرتين.

كبر يا امه وبقى يجي ع العمدة علطول وأنا بقيت الكل في الكل.
ربنا يزيدك يا ابني.
غني يا امه.

سمعتها تبسم..

أه أنا سمعت صوتك مرة بتغني وإنتي بتزغطي الوزة.

صوتك حلو والنبي غني يا عطيات..

وغنتها وكنت أشعر إنها تقصد شخصاً ما، لكنني أنا الذي
كنت أدور في الغرفة بنظري بعد أن تركت كتاب المحاسبة وأسمع
لشدوها الحزين، بينما لاح دمع في عيني فأثرت عدم الخروج
كما أثرت هي ألا تطمئن عليّ كالعادة ولم أرها منذ ذلك اليوم.

أمك تأخرت يا حسانين مش عوايدها.

تلاقي قطر سبعة فاتها وجاية في قطر عشرة.

مرات قلائل في الواقع أتت في قطار العاشرة حتى لا تفقد

تذكرة رايح جاي.

يا امه اركبي الأتوبيس.
 وليه ادفع فلوس ثاني حرام..
 وأنا كده، كده قاعدة في السوق والا ف البيت.
 أمك تأخرت قطر عشرة عدى هروح أشوفها..
 لا خليك أنت ذاكر، أنا رايح أشوفها تلاقيها واقفة مع واحدة
 من الجيران والا حاجة بعد ما نزلت من القطر.
 طب يلا بسرعة روح.
 قابله العمدة في الطريق وأخبره إن ضابط المركز أخبره
 بوفاة سيدة تحت عجلات القطار، وقال شهود عيان إنها من ميت
 مهاجر ودلّت أوصافها على إنها سيدة في أوائل أواخر الأربعين
 تُدعى عطيات عبد المنعم مجاهد.
 أمك ماتت يا عوضين.. دخل مسرعًا مستجدًا وترك العمدة.
 عرفت فيما بعد أنها بعد تأخرها عن قطار السابعة انتظرت
 قطار العاشرة وحينما جاء حاولت الركوب ونظرًا للازدحام
 تحرك القطار، وإذا ما أضفنا ضعف نظرها وعضلاتها، فقد
 سقطت قدميها في الفتحة بين الرصيف والقطار المتحرك
 فجزّرها، بينما كان الجميع يصرخ في محاولة يائسة منها ومنهم
 للفكاك منه، فأتى على جسدها..

صوت القطر عالي جنب السائق وقد سمع بعد حوالي كيلومتر
لكنها قد فارقت الحياة.

قالها ضابط المركز لنا ..

تمّ التصريح بدفنها وكان العزاء قاصراً على تشييع الجنازة
التي كانت آخر مرة أرى فيها عم عدوي وكذلك العمدة وكذلك
عمي كمال عبد الصبور.

دخلت غرفتي ولكن لم تدمع عيناى هذه المرة،

فقد كانت كلماتها ما زالت في عقلي جميعها.

أحسست أنها زُفت كعروسٍ لوالدي.

غريبة حقاً هذه الدنيا ..

في الليلة الوحيدة التي ارتاحت فيها كأنتى وهانم جلست
تشدو وكأنها استكثرت فرحتها.

ماتت عطيات دون تحقيق حلمها بالجلوس للشمس في الطابق
الخامس وكذلك والدي قبلها.

انا سايبكوا للزمن يا عوضين ..

كذلك والدتي قالتها لكن في حذاءها الأخير ..

ماتت أيضا دون أن ترتدي يوماً ثوباً دون رقعة ودون راحة.

ماتت دون أن تصبح سيده ..

لعلها المرة الوحيدة التي سبق اسمها سيدة كانت مكتوبة
بالإشارة التي وردت من المركز لدوار العمدة.

أيضا تمّ احترامها بعد أن فارقتنا كزوجها عليوة.

كان موتها أيضًا كردّة فعل.. على ضعف نظرها وقلة حيلتها
وهوانها على سائق القطار.

ميتى يا سُود الليالي تخلعي توبك

وتريحي م التعب كابايدها..

كانت آخر كلماتها التي سمعتها.

متى يرتاح كبدها..

لكن الدنيا عاندت حلمها وفي تلك المرة أراحتها

فخلعت عنها ثوبها الأسود الرث الذي لاصقها طيلة ثمان

أعوام، وأراحت كبدها من عناء الفقر والعوز.

هو الموت راحة يا امه.

آه للغلابة يا ابني.

ماتت عطيات عبد المنعم مجاهد بعد أن جاهدت غلبها

بصبرها الذي أدمى كبدها دون أن تشكو نظرًا لأنها علمت ألا

تسأل غيره، لكن الحزن أتعب قلبها، كانت تصبر قلبها المُنهك

بحلم مات أصلًا في أحلامها.

آه يا ابني لو أقعد كده في الشمس لا سُغلة ولا مشغلة، أنام
كده من غير غطا ما هو مفيش حد شايفني لأنني عالية فوق في
الدور الخامس بعيد عن كل الناس.

لكنها لم تحصد رغم كل ما زرعت..

لا يا أمي أقسم إنني لن أنسى تعديك، وسأقف دومًا على
قبرك أدعو ليُكتب لك الخلود.

الآن أيضًا لا أحد يراك وربما خلعت عليك الدنيا ثوبها
الأبيض فقط ككفن، لكن لن يراه أحد.

أيضًا ماتت دون أن تقي بوعدھا لأخي بذبح الوزه مع شوية
محشي لي.

لكن المؤكد أننا شاركنا جميعًا في ذبحها وفي بؤسها.

لا يا حسانين: إنها تتصرف كرد فعل كما أخبرتك على
ذكرياتها التي تمّ التضحية بها، وعلى الحنين الذي لم يأتِ على
خاطره وخاطر أبوك وخاطرنا جميعًا.

غلابه والله..

أبوة واوعي تزعلي حقك عليًا.

يا سلام يا اخويا.

ما خلاص بقى وقومي خدي دي.

قومي يا امه..

لكنها لم تُقَم بعد أن تركناها في ذلك اليوم 25 أغسطس

1977

أيضًا ككل الأيام السابقة دون أي ردّة فعل تتقد فطرتها
وأنوثتها.

لكنها ستظل خالدة في ذاكرتي أنا تحديدًا.

عوضين عليوة أسعد السعيد.

بنت الأصول عطيات عبد المنعم مجاهد.

عوضين. اسمي الذي يحمل لقبين،

عوضين..

عوضين..

الجزء الثاني

الفصل الأول

عوضين مبروك يا اخويا ..

الله يبارك فيك .

مالك بتقولها من غير نفس .

في حد يزعل كده بعد ما يستلم شهادة البكالوريوس .

لم تعد هناك فرحة بعد أن جاءت متأخرة لكل الذين ظنوا

أنها عوضاً لهم، كمن خط أحلاماً على صفحة المياه .

وكمن يأس من تحقيق حلمه بقلمه الذي خطّ به مدينته

الفاضلة لإحساسه بالعجز ووجود مئات المُعوقات .. فقام بكسره .

ما زال العوض فيك أنت إذن ..

وأنت يا أخي الأكبر .

لكني قد عزمت أمري على الهجرة . أنت هنا أصبح لك عمك

الثابت مع العمدة بعد وفاة عم عدوي .

للأسف لم أذهب إليه حينما كان في المستشفى في مرضه

الأخير . كانت أيام الامتحانات .

تعرف إنه سأل عليك .

سلم لي ع ابن الكلب..
لكنني أيضًا لم أبتسم كما في السابق عند سماعها منه.
الله يرحمه يا حسانين.
وقف جنبنا مرتين.. أمك كانت بتقولها.
بل ثلاثة..
ما هو اللي خطب لي وراح معايا لنسيبي.
وأيضًا أنت في الصباح بالمدرسة الثانوية وخطيبتك
أنت هنا وأنا هناك.
أين.
لا أدري في الواقع أي دولة سأذهب لكن غالبًا فرنسا.
يبقي كده خليه مية واحد مهاجر.
اضحك.. يا عوضين، بردو لسه مكشّر.
في الواقع فقد مضت الشهور الست الأخيرة أطول مما أتخيل.
ميتى يا سُود الليالي تخلعي توبك.
كل ما كان يشغل بالي أمرين.. الانكفاء على الكتاب والسفينة
الورقية البيضاء هذه.
أنت قاعد تعمل في سفن يا عوضين.

لسه زي ما أنت.
 أنا أصبّر نفسي بالحلم فقط.
 نعم كانت تقولها .. خايب ونايب.
 الله يرحمها ..
 أتعلم أننا نحب البعض أكثر بعد اختفائهم
 لما أحاول البحث عن إجابة ..
 ربما لأن الفقد ردّ فعل.
 الفقد عجز يا حسانين،
 ربما لأن الصورة أصبحت تنقص جزءًا .
 في الواقع أنهما جزءان .
 سفينتي بيضاء كالثوب الذي ارتدته عطيات حينما تركناها .
 هل ستترك المياه سفينتي تتحرك .
 ربنا يسهل لك أمورك يا اخويا .
 أراك قد كبرت عشر سنوات يا عوضين فلم تُعد تتحدث كثيرًا
 واجم صامت تجلس منفردًا بالساعات ع الترفة أو بغرفتك .
 لا ليس وحيدًا يا أخي،
 إني أحدثها ..

الآن تأتي من بعيد لتأمرنا بإرجاع الأوز للمنزل، لكننا لن
نجري كالعادة شوقاً لتنفيذ أوامرها،
حاضر يا امه ..

كنت فتاها المُدلل يا عوضين فاكر .
كلما حاول والدك ضربك كانت تجري عليك،
وحياة أبوك أخده واروح اسكن بيه بعيد والا أعمل عشة في
النص فدان وأقعد هناك .
الوالد تلفان وإنتي السبب ..

سيبك منه .. بكرة يبقى كويس وسيد الناس .
إنتي بتحابي له أكثر من حسانين ..
لا .. الأم ما تعملش كده يا عليوة، عوضين زيي غلبان وبيكتم
في نفسه وبيتحمل، حسانين طالع لك .. لو زعلان يفك نفسه
بكلمتين حتى لو غلط بيقولهم، زيك بيدب الكلام دب .
لكن أبوك ضربها يومها حينما أصر على ضربي .
ودافعت هي عنك .

نعم .. كانت تبكي كطفل صغير أدمت قلبي، ثم قامت تجمع
ملابسها .. لكنها استدركت أنها ترتدي كل ما في دولابها .
في الواقع كانت جلابية واحدة سوداء كل ما يستر أنوثتها ..
التي بعثرها والدي أمامنا دفاعاً عني .

غوري من هنا في داهية ..

رايحة فين يا امه .

لم يكن لها سوانا في البلد وفي الدنيا بعد وفاة جدتك نحمدو

وهجرة خالك عبد المتجلي .

ما هو أنا مقطوعة من سجرة لا أم ولا أخ عشان كده كل شوية

تزلّ قيا، أنا ماشية خلاص يا عليوة .

في حرارة ..

هتروحي فين يا امه بس .

لم تردّ كعادتها حين تحزن .

في الواقع كانت لا تتكلم كثيرًا طوال الأعوام الثماني الأخيرة .

لمحتني وأنا أمشي خلفها فلا أحد لها سوانا .

ارجع يا عوضين ..

لا يا امه .. رايحة فين .

مضت وتضع يديها على عينيها تمسح كطفل صغير دموعها

تُدِير وجهها للناحية الأخرى كلما مرّ بها أحد حتى وقفت أمام

النص فدان، هنا تحديداً في المكان الذي أحببت الجلوس إليه ..

غسلت وجهها بماء التربة ثم جلست، أمسكت بعصى وظلّلت

تخطط بها على صفحة الماء .

عارف يا عوضين،

يا ما نفسي أخطط بنفسي المزرعة اللي هبنيها، حواليتها
جامع كبير.. في نص فدان وتكون حدود النص فدان شجر
أخضر عالي، نفس طول المزرعة.

أما أقف فوق في الدور الأخير ما اشوفش إلا السجر ده،
بردو الناس بكرة تكثر هنا يا ابني، الجامع مش هيساعهم كلهم.
السجر ده يضل عليهم أمّا يصلوا برة قُدام الجامع يوم
الجمعة والا في صلاة العيد.

كطبعتها وعوايدها لم تكن تخطط لنفسها فقط بل تشغل بالها
بالآخرين كما شغلت وقتها وأرهقت أنوثتها وعينيها وظهرها بنا
طوال ثمان سنوات كاملة دون مقابل.

الجامع ثواب كبير يا عوضين بس جامع العمدة ده صغير
وزعم كده تحس انه مبني بمال قاتل .

معها حق فكل الذين يصلون به يشعرون بضيق النفس كما
يشعرون به تماماً حينما يرونه شخصياً أو يسمعون سيرته
الوز هياخد الدور الثاني عشان ما يهربش كل شوية هنا وهنا.
آه يا امه عشان ما تقوليش كل شوية اجري يا خايب يا نايب

هاتهم

ابتسمت ثم أمسكت حجراً وألقته في الماء
ورمت بعصاها على صفحته فأخذها الماء بعيداً
أجيبها لك يا امه .

لا يا ابني العصايه مقدر عليها هتقف هنا ولا هنا، إنما
المية يا عوضين هي الأساس هي اللي بتحرك العصاية،
وبتحرك كمان السفينة بتاعتك . ربنا يوقف لك ولاد الحلال
اللي يسهلوا لك طريقك ..

فابتسمت .. أعملك واحدة يا امة
آه اعمل ..

كنت دومًا مستعدًا لصناعتها .. علبة كبريت في جيبي ضربيني
عليها والدي

شايل كبريت ليه يا ابن الصرمة رايع جاي
عاوز تولع في البلد .
لا يا ابيه عشان العلم .
علم

طب هاتها وهات شوية فحم عشان اشرب كرسي دخان
واخفي من هنا .

اه وكمان الورق الابيض اهه في جيبي يا امة
عدلت من جلستها وأعطت الماء ظهرها وانتبهت لي ملاحظة
بدقة كل مرحلة .

إيه رأيك بقي يا امة

حلوة قوي يا واد .

وادي العلم أهه

ضحكت طويلاً

علم وأبيض ...

في الواقع حسانين علمني ذلك، كما أن الورق أبيض .

أغْيَرِه يا امة أروح البيت بسرعة أجيب الألوان

لا... خليه أبيض ربنا ينور طريقك يا ابني وما تشوف سواد أبداً .

هات أنا أرميها في المية .

كطفلة فرحة منطلقة لكنها هذه المرة لم تعر المارة أي

اهتمام غير عابئة نزلت إلى التربة لنصف ملابسها ووضعتها .

وظلت تنظر إليها حتي غابت عنا ويديها تتحرك نحوها تدفع

بهما الماء لتدفعها أسرع .

عارف يا عوضين،

أنا كان نفسي اسافر يا ابني.
 فين يا امه.
 مش عارفة.. بس نفسي يا ابني بعيد خالص وهاخدك معايا.
 وحسانين.
 هسيبه لابوك موالفين على بعض مدبات هما الاتنين.
 فضحكت حتى ضحكت بصوت عال.
 وأنا بقول الواد جايب الهبل من فين.
 أتاريه منك يا عطيات.
 قالها والدك الذي لم نشعر به إلا فوق رؤوسنا..
 فخرجت من الماء على الفور معطية ظهرها له.
 يا ولية بضحك معاكي . خليكي في المية ونزل سوا.
 لا انزل أنت هات عديس للوز.
 وجلست إلى الشمس بينما وضعت جلابية أبوك فوقها.
 وهروح ازاي إن شاء الله
 الجلبية مبلولة يا راجل.. الناس.
 ما هو من الهبل.
 فابتسمت..

طب ما خلتيش الحيلة اللي قاعد يضحك ده ينزل ليه.
 لا.. لاحسن تعبان يقرصه.
 يعني مضحية بيا أنا وابنك لا.
 ما هو ابنك وبعدين انت طول عمرك في الترة والطين والجلّة.
 هو هيتعلم ويبقى غيرنا، عوضنا عن تعب السنين.
 شوف كده يمكن تلاقي حوت هنا ولا هنا نعمله عشا للعيال.
 أما تقوليها الأول يا عطيات.
 خلاص مسامحاك.
 غلابة والله ..

قالها عمي كمال الذي جاء يسحب جاموسته:
 هو في حيتان هنا أصلاً ده السمك مخاصم الترة دي مع
 إني يا أخي كل ما امشي م الحته دي أشوف بقابقيش شكلها
 حيتان .. دؤر كويس يا عوضين.
 مفيش حاجة.

ابتسمت أمي لكن والدك قالها:
 خلاص بقي هتسامحه يا كمال.
 تسامح مين يا عليوة أنت نافوخك ساح من الشمسة ولا إيه.

طب اوعى بقى خلىني انزل الجاموسة تشرب.
 يعني مفيش غير المكان ده تشرب منه أما صحيح بلط وتلّم.
 يا اد قاعد مع الولية.
 شايفة جوزك يا عطيات.
 أنزل اعوصه طين دلوقتي.
 هو عاوز كده..

ضحكنا جميعًا من قلوبنا حتى أولئك الأطفال الذين كان
 يضحكهم منظر والدك مغطى بالطين في محاولات يائسة
 للبحث عن حيتان.

وخرج والدي تتبعه أمي تحمل العديس فوق رأسها، بعد أن
 تركنا عمك كمال ساحبًا جاموسته وترك المقطف الذي كان
 يحمله فارغًا لوالدتك وأنا اتابعهم بينما أصنع سفينة أخرى غير
 التي ابتلعتهامياة كما تلك العصى التي خططت بها عطيات
 مزرعتها النموذجية.

سفينة أخرى كتلك التي تابعتها بشوق حرك يديها وقدميها
 في الماء كمشاهد متعصب لفريقه الذي لا يتقبله إلا منتصرًا.
 يقف محررًا قدميه مع كل نقلة كما لو كان هو من يلعب يعتمد
 على رؤيته للخصم من منظور أوسع

صنعتها مرة أخرى بينما نظرت لي مبتعدة وتبتسم،
أحسست إنها همست بكلمات.

بعد أن أعاقها والدك عن حلمها الذي اتخذت لأول مرة حركة
فعلية لتحقيقه، كما أحسست أنني عينيها الذي اعتمدت عليها
لرؤية الخصم لكنها لم تنتصر تلك المرة يا حسانين.

كأنها قالتها بينما أصنعها:

اعملها وأنا اللي هحطها في المية.

هذه هي يا حسانين السفينة بعلمها الأبيض. أنا لم أصنع من
يومها أي سفينة، بل احتفظت بها حتى أنني كتبت عليها تاريخ
ذلك اليوم 13 مايو 1967

ياه يا عوضين دي قبل ما ابوك يموت بسنتين

وسأظل محتفظاً بها حتى تاريخ آخر.

حتى تعود لتضعها بنفسها في الماء حيث لن يمكن لأي أحد

وأي شيء أن يعيقها حتى دون أن تخجل.

إنما المية يا عوضين هي الأساس، هي اللي بتحرك العصاية

يا ابني.

عوضين يا اخويا،

ما تعيطش..

هدي نفسك معلش.

الله يرحمها..

يلا يا اخويا.

الفصل الثاني

خلّي بالك من نفسك يا عوضين وأول ما توصل طمني بس
 اشمعنى فرنسا دي.
 البقاء لله يا حسانين.
 لسه عاوز تهاجر يا عوضين.
 آه يا عم عدوي.
 طب يا ابني أنا بحبك زي أولادي بالطبط،
 الله يرحمك يا عطيات الناس كلها في الجنازة.
 ابني صلاح سافر فرنسا واتجوز هناك وخذ الإقامة ده رقمه
 وعنوانه أهه، انقله في ورقة.
 خد القلم أهه.
 هات يا حسانين..
 لو سافرت عدّي عليه، أهو تونسوا بعض في الغربية واللي بيعد
 التاني يقربيه بعد ما بعد عن ابوه يا عوضين لا حس ولا خبر.
 أنا هقوم امشي، السكر تعبني يا حسانين البركة فيك بقى أنت.
 مع السلامة يا راجل طيب.

فكرتني يوم جنازة أمك الله يرحمها .
 طيب يا اخويا اللي تشوفه وربنا يكتب لك الخير في أي مكان .
 بس اوعى تهج وتسى أخوك .
 خليك أنت هنا ما تتعيش نفسك .
 كل واحد يحط شنطته جنبه وكلكم اطلعوا في الدور الأخير
 على الباخرة كلها يومين ونوصل ،
 أقرب نقطة هنزلك فيها يا افندي وأنت وحظك .
 الساعة خمسة وخايف أنام و البحر شكله يخوِّف .
 فعلاً .. لكن الهوا من فوق بيخليك تنام .
 معرفش أنام خايف ..
 ليه بس .
 للباخرة تفرق والواحد يموت وهو نايم .
 هتفرق يعني مودة وأنت صاحي والا وأنت نايم .
 على رأيك .. أنا توفيق عبد الخالق .
 عوضين عليوة السعيد .
 ده قال حلو ..
 من ذوقك .

لو خايف نام جنبي هنا أنا مش هنام.
كنت هطلب منك والله.

شكراً يا عوضين واما نصحى نتكلم..
إنتي نايمه يا امه.

الهواء يا ابني خلاني انعس تحت الكافور،
والمية كمان يا عوضين جايبه هوا جامد.
طب كملي نوم.

والله يا ابني كنت خايفة أروح في النوم لاقع في التربة والا
يقرصني تعبان.

لا أنا صاحي نامي، هقععد أذاكر جنبك.
لا الجعان ولا الخايف يجي له نوم يا ابني.
لسه بتبص للبحر.
كَمَل نومك.

لا خلاص صحيت ونمت زي القتيل.

أبويا من الصعيد جه ع مصر من الغلب أنا وأمي واخويا
واختي، أتولدت في مصر بيلف ع عربية كارو يللم الروبائيكيا من
البيوت.

شغلانة شريفة ..

بس غُلب وتعب ولف ودوران والآخر ملاليم.

طلعت من التعليم بعد الغعدادية واخويا قبلي من الابتدائية.
أمي صممت إن اختي تتعلم. الصعايدة ما بيعلموش بناتهم أصله
دقة قديمة.

أمي وأنا واخويا صممنا إنها تتعلم واشترطنا عليه مش
هنشتغل معاك إلا اما تروح المدرسة.

وأمي قالت له: أهو احنا ندخلها ولو نفعت تكمل ما نفعتش
ابقي طلّعها وجوزها.
وايه الأخبار.

شاطرة .. كل ما تنجح سنة كأني أنا اللي نجحت، هي أصغر
مني أنا؛ فقريبة أوي مني.

كل يوم تستتاني أرجع عشان تقعد تحكي لي وأحكي لها لحد
ما اروح في النوم من التعب جنبها.
عندها خمستاشر سنة أهه،
دي صورتها.

الله جميلة ما شاء الله.

خد صورتني معاك يا توفيق .. يوفقك ربنا وصورتني فال حلو ليك.

أنا مش هجوز إلا اللي هتقوللي عليه يا توفيق وأنت اللي تختاره.

طب لو طلع شكله وحش.

الراجل يا اخويا أخلاق واسم مش جسم ورسم.

إن شاء الله تشوفها عروسة وتجوزها بنفسك للي أنت عاوزه.

تعالى نتعشى يا عوضين تحت في مطعم وعلي حسابي، خليها

عيش وملح ويمكن تنام بعدها لاحسن تكون جعان والجوع مانعك.

يلا بسرعة اجهزوا في مركب صغيرة هتاخدكم من هنا

وهتزلكم عند نقطة فيها ناس هياخدوكم وهما هيكملوا معاكم

وكل واحد ونصيبه بقى.

تعالى جنبي يا عوضين. الهوا هنا جامد والمركب صغيرة

بتتحرك جامد.

ما تخافش يا توفيق هانت.

أهي المركب أهه اللي قالوا عليها.

يلا بسرعة في لمح البصر انزلوا من غير أي صوت.

اقعدوا هنا من غير أي حركة وكل واحد يطلع 100 جنية.

أهه خد..

تعالى أنت يلا.

يلا يا عوضين .

روح أنت يا توفيق أنا هاجي وراك .

خَلّص بسرعة من غير صوت .

تعالى أنا دفعت لك يلا ..

تعالوا أنتوا الاتنين ،

والباقي .

امشي مالکش فيه بسرعة قبل النهار ما يطلع ،

دخلنا فرنسا خلاص بس كلها كم ساعة وتكونوا جوه وبعدها

كل واحد فيكم يتصرف بمعرفته .

لو سمحت العنوان ده ممكن أروح له إزاي .

هنا قريب على بعد ٥٠ كيلو .

حاضر هشوف لك سيارة وافهمه وياخدك للعنوان ده .

وأنت يا توفيق .

معرفةش حد هنا ..

تعالى معايا صلاح ابن عم عدوي مش هيتأخر .

سلامٌ عليكم فين صلاح عدوي .

أنتوا مين .

معرفة من بلده.

من ميت مهاجر واسمي عوضين عليوة وهذا صديقي توفيق
من مصر ومن طرف والدك الحاج العدوي.

أهلاً عوضين.

الله يرحمه..

أدأ لا بد من إكرامك ده أنت من ريحة الحبايب، كان نفسي
أنزل أحضر جنازته بس الظروف. الحمد لله إنكم دخلتم فرنسا،
عصابات التهريب قتلت عشرة كانوا معاكم.

الخبر هنا في الجريدة.

أنت فديتني بمية جنية يا توفيق..

مممكن تناموا هنا مؤقتاً مع الشباب المغاربة لحد ما أشوف
لكم مكان.

أهم حاجة الورق يا أستاذ صلاح.

اطمن يا عوضين.. ورق وشغل وسكن.. ارتاح أنت يومين ثلاثة
هنا ومحدث يطلع برة الشارع خالص،

أنتوا بتعرفوا تشتغلوا إيه.

أنا خريح تجارة.

وأنا كنت بلمّ روبايكيا في مصر.

ممممم.. طيب ارتاحوا والعشا جاي لكم هنا، أنا وصيت عليه.
إيه دي يا عوضين سفينة ورق صح.
أعملك واحدة.

لا شبعتم منها ثم أخرج صورتها من جيبه وضحك بصوت عال.
بتعملي إيه.

سفينة ورق أتعلمتها اليوم في حصة الرسم،
عملت لامك واحدة.. أعملك.

بسرعة بقى لموا الورق من الأرض أبوكي زمانه جاي وهو
أصله كل ما يشوف حاجة في الأرض ياخذها.
أنا هنام بقيى.. يا توفيق.

كان صلاح العدوي الذراع اليمنى لتاجر مخدرات ورجل
عصابات يدعى غسان عيَّاش يتخفى خلف صناعة البلاستيك،
كما وضع معمل المخدرات تحت مصنع البلاستيك الذي عهد
إلى حفيظ داغر غيَّاث بإداراته..

وكان في مهمة تسليم مخدرات لرجل في هولندا أثناء وفاة
والدته مما منعه من النزول.

عوضين أنت هتشتغل في مصنع البلاستيك وتوفيق هينقل
للمنتجات للمستوردين.

هتتعلم السواقة وهنطّلع لك رخصة،
 ما تقلقوش أوراقكم كلها بقت سليمة.
 أنتوا بشتغلوا مع غسان عياش وده راجل له ناس في كل مكان
 هنا...

وأنا كمان موجود معاكم..

توطدت صداقتهما من خلال العمل والسكن بعد أن قاما
 باستئجار شقة صغيرة على مقربة من المصنع فأصبحا لا
 يفترقان.

مرت سنتين لا يتناول أحدهما وجبة إلا إذا كان الآخر يمد يده
 قبل صديقه، ولا يشتري عوضين قطعة ملابس إلا إذا اشترى
 مثلها لتوفيق. أيضًا أتقن عوضين كل مراحل تصنيع البلاستيك
 وعرف توفيق كل شوارع فرنسا وحاتراتها.

لكن عوضين لم يعرف إطلاقاً أن هناك مصنع لإنتاج وتعبئة
 المخدرات تحت الأرض، كما لم يعلم توفيق أنه ينقل مخدرات
 في سيارته.

إلا عوضين يا غسان.

ليه يا صلاح.

بلدياتي ويعرف أبويا الله يرحمه.

لكن توفيق من مصر.

أنت فاكِر إنه لو عرف هيخبّي عن عوضين.. خلينا زي ما احنا وهمّا بعيد. طول ما عوضين بعيد أنا بعيد هناك في البلد. أبويا مات وكان راجل محترم ومش هسمح حد يلوث سمعته ويقول ابنه صلاح راح فرنسا تاجر في الهيروين..

لكن عوضين أصبح خبيرًا في صناعة البلاستيك ووجوده في الأسفل مفيد.

وجوده بالأعلى أكثر إفادة.. أرباحك ستزيد فوق وتحت.

خلاص عشانك يا صديقي حفيظ ينزل وعوضين يمسك إدارة المصنع.

تمام.. شكرًا يا غسان.

مرت ثلاث سنوات أخرى أصبح معها عوضين معروف بين التجّار لتحركه هنا وهناك كما جمع توفيق مالا من كثرة تنقله دون راحة.

عوضين أنا عندي فكرة.

تعالى نحط فلوسي على فلوسك ونفتح حساب هنا باسمك يا صاحبي.

ومش خايف أخلى بيك وأقولك مفيش لك فلوس عندي.

الراجل أخلاق واسم مش جسم ورسوم يا توفيق يا اخويا .
تذكّرْها وابتسم..
صلاح عاوز أقولك على حاجة بس ما تزعلش.
قول يا عوضين عمري ما ازعل منك أبدًا .
أنا وتوفيق معانا قرشين وبفكر نعمل مصنع صغير كده ونبدأ
ويمكن ربنا يكرمنا .
طب ما يشتري المصنع .
لا يا حفيظ..
ليه أنت معانا ولا معاه .
مع ابويا يا غسان ..
يا ادي أبوك واللي جه من وراه .
اخرس أنت وهو .. أنتوا عاوزينه يشيل المخدرات لو اتمسكت .
المصنع ساعتها هيكون باسمه والعيال تروح فيها .
تاني مرة بقولكم خلوهم بعيد عن شغلنا .
بس توفيق بينقل مخدرات .
لكن ما يعرفش .. اللي قاعد جنبه بس هو اللي يعرف شغلنا .
العيال دي فلوسها حلال وتعبت فيها وحرام تضيع من غير
ذنب .

عوضين.. أنا جبت لك أرض في مكان كويس بسعر معقول
تقدر تبني عليه وتبدأ ع البركة.
لا خلاص..
أنا اشتريت المصنع من غسان.
إيه ليه كده.
اداني المصنع بخمسين ألف فرنك.
بس ده أقل من تمنه الحقيقي عشرين مرة.
إزاي يا عوضين.
قالني عشان صلاح بلدياتي وصديقي من عشر سنين.
يعني عشانني هبخسر مليون فرنك يا عوضين ده كلب فلوس.
أنت مش فاهم حاجة..
فين توفيق.
جاي بعد شوية هنروح البيت نتعشى.
لا رُوْح أنت واوعى تطلع من البيت وأنا هجييه واتعشى معاكم..
توفيق.. اطلب كل سيارات النقل وانتظر أمام باب المصنع
الخلفي لدينا طلبية مستعجلة.
بتقول إيه.

صلاح نقل كل حاجة من تحت مخدرات وماكينات في خمس
سيارات من دقائق ومعاه توفيق.

عملها بردو.

نخلص منه.

نضحى بيه عشان سمعة أبوه ومش مشكلة المخدرات.

غبي.. مجنون

نرسل من يقتله.

لا بل سأرسل تحياتي لوالده الميت في مصر.

وماذا عن عوضين.

طالما لم يحاول معرفة ما جرى فهو بأمان كما أن المصنع

أصبح ملكه والأفضل أن توفر لنا مكاناً آخر.

حاضر.. كما إنني من قمت بتسويق كافة عقود المصنع

ويمكن إلغائها له في أي وقت وعندها يمكن لنا أخذه مرة أخرى

بنفس السعر.

قف هنا..

هذه سيارات شرطة كثيرة العدد وكأنهم يبحثون عن شيء ما.

عني أنا يا توفيق.

اسمع.. حينما أغمز لك بعيني اليمنى فأهرب فوراً.

لِما .

اسكت الآن وقف هناك ..

لمن هذه السيارات .

لي أنا صلاح العدوي ..

مخدرات يا صلاح .

اتركه لو سمحت ليس له علاقة بالأمر إنه مجرد سائق .

لكنه كان يجلس بجوارك فيها .

قلت لك إنه مجرد سائق ولا يعرف سوى أنه ينقل عبوات

وأكياس بلاستيكية .

توفيق .. سامحني وابلغ عوضين ذلك .

هذه المخدرات لغسان عياش ولا يعرف إلا هو وأنا وحفيظ

فقط .

لقد اشترى عوضين المصنع اليوم صباحًا من غسان الذي أراد

أن تصبحا مالكين له، ولكن هناك معمل آخر تحت الأرض لا تعرفان

بوجوده فقمتم بنقل كل شيء حتى لا تتحملا عبء هذا الغطاء .

أكيد هو من بلَّغ عنك .

نعم ..

اهرب يا توفيق.. وقم ببيع المصنع واذهبها لمصر وابدء من هناك وابلغ عوضين أن يغفر لي ويكتم هذا السر عن إخوتي.. أنا خلاص بفكر أنزل وأبدأ كمان هناك على نضيف.

لا لن أهرب.

اهرب يا غبي..

قف.. قلت قف وإلا..

قف سأطلق النار..

سيد صلاح.

نعم أنا هو..

غسان عياش يرسل لك تحياته. خذ..

آه..

توفى صلاح في الحال بينما أُصيب توفيق بطلق ناري في الصدر نُقل على أثره للمستشفى يصارع الموت.

أنت تعرفه.

نعم.. صديق قديم.

ماذا تعلم عنه.

فقط هو المسئول عن أسطول سيارات النقل الخاصة بمصنع

البلاستيك.

الذي تملكه .

الذي تملكته صباح اليوم وهذه هي العقود موقّعة من السيد
غسان عياش .

أصيب أثناء هروبه مع شخص يُدعى صلاح العدوي، وتم
اكتشاف وجود ثلاثة كيلو جرامات من الهيروين وخمسة كيلو
من الكوكايين مع بعض الماكينات المستخدمة في تفرغ الهواء
والتعبئة وأمور أخرى .

لم أسمع يوماً بقيام أحدهما بالإتجار في ذلك وكل ما أعرفه
أنهما لا يمكن أن يتاجرا في المخدرات،
ربما شخص آخر وضعها لهم .

للأسف فقد توفيا كليهما ولم نحصل على أي معلومات من
أيهما .

أحدهما توفى في الحال، والآخر توفيق عبد الخالق عجاج
منذ دقائق .

توفيق مات .

الفصل الثالث

نعم..

وقّع هنا وانصرف.

هذه متعلقاتهما الشخصية هل يمكنك استلامها.

نعم..

كما إنني أطلب دفنهما هنا وعدم إرسالها إلى بلدهما.. هل

يمكن ذلك.

نعم.. إذا وقّعت على هذه الورقة.

شكرًا..

هذه ملابسهما.

دعني أخذها لأحتفظ بها.

وهذه صورة.

نعم لأخت توفيق.

وهذه ورقة وُجِدت في جيب صلاح.

إنها خطاب من والده.

ازيك يا صلاح يا ابني.. عشر سنين وأنت مهاجر ولا يوم
فكّرت تشوف أبوك..

فاكر يا صلاح أمّا كان عندك ١٢ سنة ورحت معايا العزبة
وكنا بنبني في جامع العمدة..

سألنتي: يا ابيه ما تبنيش جامع زي ده في شارعنا.

قلت لك يا ابني الجوامع بتبني في النفوس الأول يا صلاح.
خلي بالك من نفسك وإياك تخليها تتغلب عليك،

يمكن ما اشوفكش. السكر شد معايا والعلاج مرة بينفع ومرة لا.
بس أنت يومها قلت ل: لا يا ابيه والله لأعمل واحد أكبر منه
وهسميه جامع العدوي.

العدوي يا صلاح أبوك.. زوره قبل ما تصلّي فيه ولا عليه.
والسلام ختام

هذه ١٠٠ ألف فرنك.

لما يا عوضين.

ثمن الحقيقة يا حفيظ.

هو عمري إن قلتها.. أنت لا تعرف غسان عياش.

إذن سأخذه منك مجاناً الآن ولن تتحصل على أي فرنك.

توفيق كان ينقل مخدرات داخل العبوات البلاستيكية والشرطة المحلية منها أفراد يعلمون ذلك وأنا فقط وصلاح وبالطبع غسان يملك كل ذلك. وتوفيق لم يعلم شيئاً، لكن أظن إن صلاح أبلغه في الطريق وأمره بالهرب فتم إطلاق النار عليه. هنا معمل ومخزن تحت الأرض لم تعرف أنت بوجوده.

صلاح حاول إبعادك عندما قمت بشراء المصنع بأقل من ثمنه، وقام مع توفيق بنقل كل شيء خوفاً عليك، لكن غسان أبلغ أعوانه في الشرطة وبقية القصة أنت تعلمها.

عوضين

غسان عياش هو أحد ملوك الشوارع الخلفية هنا وله من الأعوان ما لا تتخيله. قلت لك الحقيقة لأمرين، أولهما إنني لم أرَ منك أي سوء خلال خمسة أعوام، والآخر أن جدي لأمي من بلادكم.

لا تبُلِّغه عن حديثنا وهذه الحقيقية لا أريدها،

فقط عليك الآن بالإتيان معي للغرفة السرية وإنفاق بعض هذه الأموال عليها وتحويلها إلى جزء من المصنع، وبهذا تصبح في أمان إذا ما تم إعادة فتح التحقيق في الأمر الذي سمعت أنه حُفظ اليوم بواسطة النيابة..

شكراً يا حفيظ ولكن تبقت هناك خدمتين.

ما هما .

نبدأ بالأولى لأنها أسهلها ..

ستذهب للقاهرة وفي هذا العنوان تحديداً تبحث عن رجل يُدعى عبد الخالق عجاج، وتعطيه هذه الحقيبة بعد تحويلها، تسلّمها شخصياً لابنته وتوقع معه عقداً لوكالة شركتنا هنا وتطلب منه بناء مصنع للبلاستيك في أقرب وقت.

والأخرى.

حينما تعود..

لا تذكر أمامه أي شيء عن توفيق ولا عني ولا أي أسماء شخصية، فقط اسم الشركة.

AT Plastique

وقع العقود غير مصدق بعد أن قرأتها ابنته،

هي محامية حديثة التخرج.

إن أصعب أمر في المهمة هو كيفية إتياء أسئلتها المتكررة.

ولما أبي تحديداً وكيف عرفت به ومن يقف خلف هذه الشركة.

قريباً ستعرف كل شيء يا حفيظ.

لكن أريدك أن تتواصل معها دائماً وتكتب لها بالتفصيل

كل ما تعرفه عن التسويق وترسل لها أحدث التصميمات

والماكينات حتى تصبح شركته هي الكبرى في السوق في غضون سنوات قليلة.

وهذا ما قلته لها وردت بأنها بالانتظار أيضًا لمكالمة للتعرف على مالك المصنع، وهذا رقم هاتف لمكتب المحاماة الذي تتدرب لديه حتى يكتمل مكتب الشركة.

كما أضافت شرط جزائي بعد أن قمت بإقناعها بحجم المكاسب التي يمكن لوالدها تحقيقها بالتعاون مع شركتنا.. المهم أن الاتفاق قد حدث.

نعم، وتم توثيق كافة العقود وهذا ملف كامل بنسخها الأصلية. كما قام الرجل بشراء قطعة أرض اصرّ على أخذ وجهة نظري فيها.. أخته قالت إنها كانت مكب للنفايات كان توفيق يتخفى فيه من والده حينما يحاول ضربه.

أذكرت لها شيئاً عنه.

إطلاقاً يا عوضين.. اطمئن.

والمهمة الأخرى.

التخلص من غسان عياش ودع القانون يأخذ مجراه يا حفيظ، واطمئن أنا لا أريد منك سوى معلومات عن مكانه الجديد واترك الأمر لي كما أنني أريدك معي مديراً للتسويق هنا.

أعلم من صلاح الله يرحمه أنك كنت مسئولاً عن التسويق ووقعت كافة عقود المصنع.

نا استجبت لنصيحتك وأصبح لدينا ماكينات أخرى بالأسفل تبحث عن من يسوّق إنتاجها يا صديقي، وسوف يكون لك نسبة في كل تعاقد جديد، كما أنه يمكن لك العمل من خلال المنزل لتتفرغ لهوايتك المحببة. التمثيل على ما أظن.

إنها محاولات فاشلة لأن لم تتعدّ بعض الأدوار الثانوية في بعض المسلسلات. لا ليست فاشلة والدليل على ذلك ما قمت به منذ يومين مع عبدالخالق وابنته.

أبلغ عن غسان لضابط شرطة كبير معروف بنزاهته، لكن غسان علم من بعض مرافقيه فهرب على الفور لكنه قُتل منذ ساعتين على يد خفر السواحل.

أراد الهروب لبلده عبر البحر الخبر هنا بالجريدة يا عوضين. إنه نفس المكان الذي قُتل فيه عشرة أشخاص كانوا برفقتنا. صلاح يوم استقبلنا قال أن عصابة التهريب هي من قامت بقتلهم.

فعلاً.. فغسان هو من كان يديرها .
 شتمني يا امه .. قالي يا ابن عليوة الكلاف .
 عادي يا عوضين .. الله يسامحه يا ابني ،
 سيبه .. الشتمة تلف وتلف وترجع لصاحبها .
 ازاي يا امه هو يعني أبوه كلاف عشان ترجع له الشتيمة .
 الإهانة يا ابني، اللي عمله هو اللي هيرجع له تاني،
 حد بقي يقوله يا ابن الكلاف ولا يا ابن الكلب يضربه بالقلم
 على وشه ولا بالشلوت، العمل يا ابني هو اللي بيرجع لصاحبه
 خير ولا شر .
 الله يسامحك يا ابني وروح بيتكوا وسلّم على امك وعليوة
 أصلاً كلاف والناس كلها عارفه ،
 في رب فوق يا عوضين شايف وسامع .
 حاضر يا امه .
 في رب فوق يا حفيظ ..
 الحمد لله إن تار صلاح وتوفيق اتسد من غير ما الوث إيدي
 بنقطة دم واحدة .
 أنت طيب يا عوضين .
 أنا نفسي بقول كده يا حفيظ .

امه..

نعم يا عوضين.

أنا عاوز ادبح الوزه، أنا المرة دي.

ابعد يا حسانين.

لا..

ليه يا امه حسانين كل مرة بيدبجها وابويا شفته كمان
بيدبجها.

أبوك علمه عشان أنا عمري ما دبحتها،

أنت طالع لي. أنا بخاف من منظر الدم خليك بعيد عنه زي.

بس عاوز أجمّد قلبي زي حسانين بمنظره، ويمكن ما اطلعش

زيك أخاف منه.

جمّد قلبك باللون الأبيض وخلي الأخضر حواليه، لا بالأسود

ولا بالأحمر يا ابني. الأحمر له ناسه والأسود ربنا ما يكتبه عليك.

مسيو عوضين.. عوضين

أنت كنت سرحان

التليفون بيضرب..

شوية..

طيب رد عل

التليفون.

فين.

في مكتب الحاج.

أهلاً أنا حفيظ.

أهلاً بيك.

في الواقع لديك تذكرتين سفر لفرنسا واحدة لك والأخرى
للسيد عبد الخالق.

بعد يومين من الآن وتم إرسال أوراق الدعوة

وسوف يجيب صاحب الشركة بنفسه عن كافة تساؤلاتك
استاذة . مع السلامة.

أهلاً بكما في فرنسا.

نورتونا.. السيد صاحب الشركة يعتذر لكما في الواقع أنه
الآن في زيارة لصديق قديم يذهب له يومياً في هذه الساعة كل
يوم.. الخامسة مساءً.

أنت بتتكلم زينا سيد حفيظ.

هذا صحيح فلي أصول تعود لكم. من هنا تفضلوا..

هذا الفندق به جناح مُخصص لكما فلنصعد سويا و أترككم
للراحة، وعند العاشرة هناك عشاء سيحضره صاحب الشركة
في المطعم بالطابق الأول..

أهلاً عم عبد الخالق.

تشرفت برؤيتك أستاذة.. عوضين عليوة السعيد.

صاحب الشركة AT Plastique التي أنتم وكلاؤها الوحيدين هناك. الحروف اختصار لأسمين أحدهما لي وشخص عزيز علي، وكان هذا هو السبب في إصرار حفيظ في بدء التعاقد بتسمية فرعكم بنفس الاسم.

أخيراً التقيتك استاذ عوضين واتمى لقاء المالك الآخر.

قريباً سنلتقيه بعد العشاء..

أولاً نتناول العشاء ونتحدث.

سعدت جداً بالأخبار التي كان ينقلها حفيظ باستمرار عن نشاط مصنعكم وتوسّعه.

نعم أصبحنا بفضل الله محكرين لسوق البلاستيك.

هذا بفضل مجهودكم يا حاج وذكاء الأنسة.

وأيضاً بفضلك مسيو حفيظ.

لا بل هذه كانت تعليمات مسيو عوضين بأن أنقل كل خبرتي أولاً بأول في مجال التسويق والتعامل مع العملاء طوال السنوات الماضية.

ولما سيد عوضين.

تسدّد دين سيدتي .

لمن .

أستأذّنكم جميعاً وعلى موعد قريب بكم وأشكرك على العشاء

مسيو عوضين .

تفضّل حفيظ .

في الواقع أن لك عينين تشبه عينيه تماماً .

من .

بيدو أنك تريد قول شيء يا عمي .

نعم .. أنت هنا من زمان .

من أحد عشر عاماً تقريباً .

نفس تاريخ سفر أخي توفيق .

كان يرسل لي خطابات باستمرار حتى انقطعت منذ خمس

سنوات ونصف .

آخر مرة قال لي في خطابه :

فاكرة الصورة يا أختي .

سأعطيها حسب اتفاقنا ولا تقلقي يا حبيبتى هو راجل أخلاق

واسم إضافة إلى جسم ورسم .

كيف عرفت ذلك .

لأنني كنت أكتب له كل خطاب، توفيق كان صديقي الوحيد
هنا.

كان.

أكمل عشاءك يا عمي وأنتي أيضًا.

تعرف حاجة عنه يا ابني.

لقد حاولنا البحث عنه دون نتيجة حتى السفارة لم تحاول
الرد على استفساراتي المتكررة يا أبي.

نعم كل خير لا تقلق.

الآن سأخذكما للالتقاء به.

هو كويس توفيق.

وفي أفضل حال ولم يعد خائفًا من النوم بعد أن أُحيط
بالخضرة حول مسكنه الدائم. أصبح ينام دون خوف من الموت
المفاجئ.

هذه الصورة لك تفضلي يا أستاذة.

الفصل الرابع

قابلته على السفينة ونام بجواري بعد أن اطمئن.

كان لا ينام إلا إذا جلست بجواره أولاً.

حكى لي ذلك أيضاً.. وافتداني بمئة جنية.

تلك أعطيتها إياه عند خروجه من الباب بعد أن جمعتها طوال سنوات من بيع السفن الورقية التي كنت أصنعها لصديقاتي في المدرسة والحارة، إضافة إلى ما يعطيه لي والدي وأخي الأكبر عثمان.

أنا أعطيته مئة أيضاً.

نعم وقلت له خدها يا حبيبي أنت على سفر، ومحدث عارف ظروف الطريق وأول ما تشتغل رجعتها لي بس بالفرنك وقدامها ثلاث أصفار.

ده يبقى ربا..

الربا بين الاخوات بيسموه هبة يا توفيق.

وقد تم إرسال مبلغ ١٠٠ ألف فرنك لك في حقيبة يا أستاذة

هبة مع حفيظ وقد تم تسديد دينك

كما تم تسديد الدين أيضًا من رقبة شخص آخر.
عارف يا ابه..

أنا وعثمان وأنت بنشتغل طول اليوم ليل نهار كده ومفيش أي
نتيجة يمكن جنية والا جنية ونص مكسب في آخر كل كم يوم، ده
غير تعب اللف والدوران في الشوارع على كعوب رجلينا،
أمّا رحتم مع عثمان نودي الحاجة للمعلم بخيت السبع قاللي
الراجل ده ملك الروبايكييا في البلد
يا ريت نكون زيه يا عثمان.

ياااه موت يا حمار بس أبوك هيزعل ع الحمار وضحك.
الراجل ده قعد عشرين سنة عشان يوصل لكده
تعرف احنا أفضل لينا نكون ملوك في حاجة تانية تكون
جديدة كده.

هنعملها في ربع المدة دي.
وأنت الآن يا عمي أصبحت عبد الخالق عجاج ملك البلاستيك
في البلد في خمس سنوات.
ودينك قد تم تسديده أيضًا..
في الواقع أنا أطلق عليها أحلام..
لأعز صديق قابلته طوال عمري،

لا بل إنه صديقي الوحيد،

توفيق..

دعونا نلتقي به بعد قليل

هيا..

هذا هو صديقي الوحيد الذي أجلس معه يوميًا في تمام
الخامسة مساءً نفس الساعة التي التقيته على ظهر تلك الباخرة..
لم ابك يوم أن علمت بوفاته.

أخذت ملابسه هذه التي احتفظت بها هنا بجوار قبره لكن
في اليوم التالي بكيت كثيرًا حينما دخلت إلى شقتنا ولم أره..
تمامًا كما بكيت والدتي بعد وفاتها.

طوال أحد عشر عامًا لم نأكل إلا سويًا ولم ننم إلا حينما
يطمئن أحدنا على الآخر. هذه الملابس التي تصطبغ بدمه هي
نفس الملابس التي ارتديها نفس اللون.

لدي منها خمسًا متشابهة ارتديها يوميًا.

عارف يا عوضين..

أنا بحبك تشتري لي أما تشتري لنفسك هدوم. أنا ما بعرفش
اختار ألوان. أختي دايمًا كانت بتروح معايا وهي تختار وأنا ادفع.
أنت بتعرف تختار اللي كنت بتمني في يوم البسه..

أنا هنا يا توفيق نم يا صديقي قرير العين ولا تخف وحينما
تصحو من نومك سوف أنصرف.

إنك تبكي يا عوضين.

لا انا بخير.

امسك نفسك يا عمي.. لا تبك.. توفيق حي لم يمُت على
الأقل داخلي.

لا يا ابني لم أعد أبكي طالما أصبح ابني خالدًا في قلب
أحدهم وعقله وروحه. أنت مثال للخُلُق الذي كنت دومًا اطمح
لأبنائي أن يتحصّلوا عليه،

كما أدعو الله أمام هذا القبر ألا تفارقنا أنت يا ولدي، فطالما
أراك فكأنني أرى توفيق قد عاد للحياة.

لكن الذي يموت لا يعود للحياة..

فالموت والحياة وجهان لعملة واحدة، أحدهما يسلم الآخر
أحدهما فوق الأرض والآخر أمامك بالأسفل..

تلك أغبى جملة عرفها التاريخ نطقها أحدهم من الخارج
وآمنًا بها دون شعور. الموت هو شعور يا هبة.

لا بل الموت حالة.

الحالة هي ما تبدو عليه أنت للرائي من الخارج، أمّا الشعور
فهو ما تبدو لك عليه حالتك من الداخل.. لنفسك أنت..

ولذا الموت شعور كما هو حالة ولذا فجميعنا في واقع الأمر موتى لكننا نتنفس وعليه تكون تلك الجملة خطأ لانهما ليسا وجهين لعملة واحدة ولكنهما نفس الوجه.

الموت هو الحياة نفسها والحياة هو الموت بعينه.

ولذا لم تمت عطيات كما لم يميت توفيق ولن يموتا.

الموت ليس انقباض الروح أو خروجها بل أيضاً يمكن الحصول عليه بينما تخرج أنفاسك وهو ما سيبدو للناظر أنك تحيا لكنك في واقع الأمر ميت بقلب منقبض من داخلك أنت.

كما كانت عطيات.

نعم. تحيا ميتة هنا وهناك منطلقة من بيتها لسوقها لحقلها حتى حينما تجلس لأوزها. كنت أشعر بحالتها.

لكن الحلم هو البوابة الوحيدة بين الموت والحياة التي تعطي الموتى هبة التنفس على ظهرها،

إنه بمثابة بوابة ذات اتجاهين ولذا نطقتها..

عوضين.. احلم لي يا ابني أنا ما بعرفش أحلم

والدتي..

وكما كنت أرد دوماً.

سيبها تحلم يا ابه..

إنه شعورها الذي تود لحالتها يوماً أن تصبح واقعاً .
عطيات لم تمت كما لم يحدث لأخيك الحبيب وصديقي
الوحيد . إذا كانت تحلم دوماً فهي في واقع الأمر تحيا داخلي ..
أشعر أنا بوجهة نظرها وفشلها في محاولة تحقيقه .
أخي أيضاً كان يخشى الموت .. وهذا شعور
حقاً لكنه تغلب عليه حينما أحس بالأمان وأنا آتي يوماً هنا
لأعطيه ما يبقيه بأمان .. الأمان هو شعور والشعور لا يكون إلا لحي ..
الحب أيضاً شعور يا عوضين .
وهو أيضاً حالة يا هبة .
حقاً يا حبيبي .
توفيق هل تسمعني يا أخي الحبيب لقد استلمت رسالتك
وفهمتها .
عوضين ..
نعم .
تتجورني .
عشان الصورة .
لا .. عشان بتعرف تحلم . كما حلمت لكل شخص دار في
فلكك .. وتوفيق وأبي وكما ستحلم لعطيات وصلاح .

احلم كما لو كنت زوجتك وحببيتك سأغمض عيناى مطمئنة
بفستاني الأبيض بعد أن أسلمت قلبي قبل جسدي لذلك الفارس
الذي يحمل اسماً ورسمًا شعرت به في أحلامي.
تبقى حلمها لم يُنفذ بعد .

ستحققه أنا واثقة في ذلك فكل الخير الذي فعلته لا بد أن
يرتد يومًا لك .

بل لها ..

نعم يا حبيبي وسنحققه سوياً وسترى .

وحتى هذا الموعد احلم لي ومن أجلي من أجل أبناءنا الذين
أراهم في عينيك وأشعر بضحكاتهم في أذني .

حسانين وتوفيق وصلاح .. وعطيات . ليس لأنني لا أعلم كيف
أحلم، بل لأنك تحلم جيداً .. تحلم كأنك أنا التي لا أعرفها جيداً .
كأنني خلقت منك أنت تحديداً .

كنت أسأل نفسي لما لم يأتِ على خاطري يوماً التفكير بالزواج .
وكانت الإجابة التي أصبر بها نفسي .

أهي رسالة توفيق التي اتفقنا عليها .

الصورة دي يا هبة هديها للي اخترته ليكي

اعتراني الشك مرات في ذلك بعد انقطاع أخباره لكن هناك

هاجسًا في قلبي يقولها ..

سيرسلها ..

عوضين .. احلم لي لأنني راضية بما سيأتي خلف أحلامك
الخضراء بقلبك الأبيض الذي لم يخالطه سواد الحياة، ولم
يكتب يوماً أحدها بقلمها الأحمر

في الواقع فإنني اتشوق لرؤيتها على أرض ميت مهاجر .
في تلك المزرعة العالية وما حولها في الظلال الموصولة
تحت أشجار الكافور الكثيفة المتشابكة .. على طريق التربة .
سنجلس سوياً في ذلك المكان نسلم أرواحنا للنوم وسنبحث
عن حياتنا لا يعترينا خوف من لدغة ثعبان هنا أو هناك .
تمرح حولنا طيور الأوز آمنة تجري كيف شاءت وإلى أي منزل
دخلت فهي حرة وليهنأ من يأكلها طالما هناك .

عوضين يمكنه الإتيان بغيرها .

نصنع معاً سفناً ورقية نضعها سوياً وأنزل بها إلى الماء حتى
منتصف ملابسي، أضعها غير عابئة لأحدٍ سواك أنت .
وأحرك يدي وقدمي، أضعها بكل شوق وقوة نحو غايتها،
أتمنى لها السلامة كما الخلود طالما كنت بجواربي .
لو شافتك تاني يا ابني ده يخلدها .

سأفرح إن جرت مسرعة منطلقة ولن أغضب إن تعثرت أو
أعاقتها حواجز فأنت من سيحلم لانطلاقها مرة أخرى.
صبر قلبك بحمدٍ وحلم.
طالما كنت أنت بجواري حبيبي لا تتوقف عن الحلم
لا تذهب بعيداً عني وكن على مقربة مني.
لا تجعلني أقولها يا حبيبي.
فين عوضين.

الجزء الثالث

الفصل الأول

واحشني يا عوضين.
 وأنت كمان يا اخويا عامل إيه طمني عنك.
 ماشي الحال..
 الفلوس وصلت لك.
 يه بس دي كتير قوي يا عوضين،
 أعمل إيه بيهم.
 اصرف زي ما تحب على أولادك والباقي حطه في البنك باسمك.
 معلىش أنا مشغول دايماً.
 عارف ربنا يكون في عونك.
 مش ناوي تنزل يا عوضين.
 ثلاثاشر سنة وأنت مهاجر مش عاوز تشوف أخوك.
 أكيد هرجع في يوم يا حسانين ومسيرنا نتقابل، ولادك
 عاملين إيه.
 الحمد لله بيسلموا عليك، علّي صوتك يا عوضين صوت
 العيال عالي.

عيالك طب خليني أكلمهم.
لا ده عيال الدرس. أصلي بقيت بدي درس فرنساوي كم
مجموعة كده. الشغل في العزبة خلاص ما بقاش زي الأول.
ولاد العمدة فين وفين أما حد فيهم بيعت لي. بقى عندهم
مهندس زراعي يا عوضين. فاكرك.
آه.. فاكرك التجارة أفضل يا حسانين. كل واحد بياخذ نصيبه
يا اخويا.
أصلهم متخانقين مع بعض واحد عاوز يبيع، ورؤوف الكبير
مش عاوز. ومحدش قادر يقرب عليها.
ليه يعني.
ما هم ٢٠٠ فدان وعارضين الفدان على ربع مليون ومش
عاوزين يتنازلوا عن جنية واحد وواقفين لبعض.
سايبين الأرض تبور وأنا قلت أبعد عنهم لحد ما يحلوا
مشاكلهم عشان محدش يقوّلني أي كلمة.
أحسن بردو يا حسانين. وبردو الفلوس معاك وهبعت لك
تاني. وبوس لي الواد عوضين الصغير.
مع السلامة يا اخويا وما تقطعش بيا يا عوضين احنا بس اتنين.
أغلق الهاتف

حقا نحن اتنين فقط..

أنتوا اتنين يا حسانين.. وعلى رأي المثل عد غنمك يا حجا
واحدة قائمة والثانية نائمة. أوعى تسيب أخوك يا عوضين وأنت
يا حسانين. وأمّا كل واحد يخلف الكبير من أولاده يسميه على
اسم أخوه. كده تفضل أسماءكم في الدنيا .

حاضر يا امه .

لا بد لي أن أساعد حسانين كل شهر.. من الآن فصاعدًا لديه
أربع أولاد وهمه كبير.

الشغل في العزبة خلاص مبقاش زي الأول

عاوزين يبيعوها .

إيه .

نعم والنص فدان هل سيأخذه عمدة آخر ليمنع تحقيق ذلك
الحلم الذي ظل يراودها سيضيع كما ضاع ما خطته على صفحة
الماء في ذلك اليوم. لا لن يضيع .

أكيد يا عوضين.

آه يا امه .

عوضين..

نعم يا امه .

حلم الجعان .

عوضين ..

احضري لي المدير المالي سريعاً وحفيظ .

أهلاً مسيو عوضين .

اجلسا .. كم لدينا من أموال سائلة إضافة إلى ما لنا عند المطاعم والموزعين في أنحاء أوروبا .

كثير يا مسيو لكن دعني لآخر اليوم وسأضع تقريراً مفصلاً حول كل يورو .

لا أسرع من ذلك واجلبه لي في البيت . أنا سأذهب الآن .

لدينا حوالي ١٠ مليون يورو . لكننا لن نتحصل سوى على ٦ الآن .
والباقي .

هناك عقود مسيو عوضين فمصلحة الشركة تقضي بالانتظار حتى مواعيد الدفع الآجل المتفق عليها .

هل ممكن أن أسال .

دون سؤال يا حفيظ صديقي، أنا أريد ٦٠ مليون جنية مصري

كاش .

لحظة أطلع على سعر الصرف لهذا اليوم ،

هذا المبلغ يغطي ما تريد وأكثر .

الحمد لله..

أي خدمة أخرى.

نعم.. أليست لك أصول مغربية يا حفيظ.

نعم..

وأتحدث العربية حافظت عليها من زوجتي المغربية وأيضا

بسببك.

لا ليس من أجل اللغة بل من أجل ملامحك التي تقترب من

ملامحنا.

هذا لأن جدي لأمي منكم.

وهذا هو المطلوب شخص قريب جدًا من ملامحنا وقريب مني.

أريدك أولاً أن تفتح لي حسابًا في أحد البنوك هناك.

يمكن لنا ذلك من هنا.

وتضع فيه المبلغ بالجنيه.

هذا نستطيع فعله غدًا من هنا.

إذن بعد غد أريدك في القاهرة،

وسوف أخبرك بكل التفاصيل في طريقنا للمطار.

تحت أمرك.

في الواقع أستاذ رؤوف فإني مدير أعمال رجل أعمال كبير
يُدعي عبد الخالق عجاج.

أعرفه بالطبع.. أليس ملك البلاستيك.

نعم.. هو نفسه.

هذا الرجل منذ زمن وحلمه قطعة أرض كبرى متصلة.

أكمل..

هذا أخي مازن..

أهلاً بيك.

أكمل..

وعرضت عليه قطع أراضٍ كثيرة لشرائها لكنه لصغرها وعدم
اتصالها كعزبة كاملة أحجم عن شرائها رغم توفر المال ونقداً.

في الواقع إنه يحلم بعصر الباشوات والإقطاع

أها.. هذا العهد كما تعلم قد ولى منذ زمن.

لكنكم تملكون ٢٠٠ فدان في أحد القرى وسمعنا أنكم

تعرضونها للبيع.

ممن.

كنت حاضرًا مع عبد الخالق باشا وأحد الأشخاص يحدّثه

عن قطعة أرض اشترط أصحابها أخذها كلها دون التنازل عن

جنية واحد، وحينما أخبره بأنها ٢٠٠ فدان أبدى استعدادًا لشرائها فورًا وكاش.

وأجرينا بعض الاتصالات فعرفنا أنها للعمدة عي داروس اللبان. الله يرحمه.

إذن أنتم ورثته.

نعم لكننا ما زلنا نفكر في الأمر.

إذن هذا رقمي وللعلم فإننا نعرض ٣٠٠ الف جنيه في الفدان الواحد.

هذا أكثر مما عرضناه.

لأنه حلم لهذا الرجل.

لكن رجاءً أمامكم يومين لا أكثر،

وفي انتظار قراركم سواء بالرفض أو الإجابة حتي إذا وجدنا أخرى فلا تسببون تعطينا عنها.

أستأذنكم أنا.

عرض لن يتكرر.. وهذا ما كنا نطمح إليه.

هيشيل كل الأرض مرة واحدة ونقسم الفلوس وكل واحد يشوف مصلحته.

الأول دعني أتأكد إنه لرجل الأعمال حجاج.

نعم أنا مدير أعماله .
 أهلا بيبك مهندس مازن .
 رائع إذن نتوكل على الله .
 ماذا .
 دعني أسأله وارد عليك .
 أهلاً مسيو عوضين ..
 لقد وافقوا منذ قليل .
 لكنهم يطلبون ٣٥٠ ألف في كل فدان .
 تمام ..
 مبروك مسيو عوضين .
 لقد تم توقيع العقود مع عبد الخالق باشا .
 أهلاً عوضين .. ألف مبروك يا خطيب بنتي .
 بقيت باشا رسمي .
 البركة فيك يا عمي .
 بعد بكرة العقود ستكون جاهزة .
 لنقلها لك عن طريق مدير أعمالك السيد حفيظ .
 أصبحت العقود معي مسيو عوضين ،

هل أعود الآن لباريس.
 لا.. تبقت مهمة يا صديقي.
 تحت امرك..
 أنت رايح فين يا عم أنت حاسب.
 أنت مين.
 صاحب الأرض قد أمرنا بجلب الحديد والأسمنت هنا.
 صاحبها مين أولاد العمدة مفيش حد جاب لي سيرة.
 أنا ناظر العزبة.. حسانين السعيد.
 اوعى تنزل أي شيء.
 اتركه يا حسانين..
 أهلاً بشمهندس مازن.
 الأرض اتباعت منذ أسبوع وأصبح مالکها الجديد عبد الخالق
 عجاج، وقد طلب الإبقاء عليك ناظر لها وهذا رقمه اتصل بيه الآن.
 أنت حسانين.
 أيوة يا باشا.
 أهلاً بيك.
 بص عشان معنديش وقت.. خلي بالك من الأسمنت والطوب
 والزלט وفي مهندس سيأتي لعمل مقاسات وسوف يسأل عنك.

هتبنى إيه يا باشا .
جامع كبير يا حسانين وبيت خمس أدوار .
فين .
في النص فدان اللي حدودها شجر الكافور .
الله .. سعادتك جيت هنا قبل كده .
آه طبعًا .. امبارح بالليل لفيت في الأرض ولم أشأ إزعاجك .
حاضر يا باشا مع السلامة .
جامع وبيت وخمس ادوار .
سبحان الله .
عوضين ..
ممکن أسالك سؤال :
عارفه يا حفيظ .
لما لم أظهر بالصورة وتركت نسبيي يشتريها أولاً .
نعم .. وألح السؤال علي كثيرًا .
إنتي فاكرة يا مخبولة إن العمدة ممكن يبيع ليكي نص فدان
حتى لو دفعتي في القيراط الواحد خمسين ألف جنيه .
ليه يعني ما بيعيش يا عليوة .

العمدة عمره ما يبيع أرضه إلا لعمدة، يمكن ولاده من بعده،
ولو باعها لا يمكن يبيعها للكلاف يا عطيات.

تعرف يا عوضين،

أبوك معاه حق.

ليه يا امه.

اللي اتعود ع الظلم والجبروت لا يمكن يتكسر لخدامينه..

هيموت في اليوم ميت مرة لو مر على أرضه وافتكر إن
صاحبها ده كان في يوم كلاف عنده،

ما هي الأرض دي هي اللي خلته عنده كلاف يا عوضين.

من غيرها لا كان في عمدة ولا كلاف،

يلا أسيبك تذاكر واروح لأبوك.

عوضين..

حلم الجعان عوضين.

أهلاً يا حسانين عامل إيه.

الأرض اتباعت.

أرض مين.

أرض العمدة الميتين فدان كلها.

لمين .

واحد اسمه عبد الخالق معرفش إيه .

ربنا يبارك له فيها يا حسانين .

هاشتغل معاه .

أكيد طبعاَ عاوز يعرف كل حاجة عن أرضه الأول .

بس مش ده اللي خلاني اتصل بيك ،

عارف النص فدان اللي كان زارعه أبوك الله يرحمه .

ماله .

الراجل هيبنني فيه جامع كبير .

تلاقيه رجل بتاع ربنا يا حسانين .

أمك كانت عاوزة كده .

الله يرحمها .. تلاقيها كان نيتها صادقة .

آه فعلاَ كانت طيبة .

وأنت كمان يا اخويا .. سلّم لي ع العيال .

لماذا لم تخبره ...

الآن لا ويبقى عملنا إيه .

بعد دقيقة الخبر هيكون في كل البلد والبلاد اللي جنبنا .

أمّا احط رجلي فيها وانزل يبقى نقولها يا حفيظ.
 مش فاكرة يا عطيات أمّا البشمهندس زين ابن الحاج اسماعيل
 أبو سويلم جه من بلاد برة وكان عاوز بيني بيت بالطوب الأحمر
 في القيراط اللي اشتراه من أخو العمدة.
 آه.. فاكرة طبعًا.

عمك عدوي يومها قال إن العمدة قاله أنت اشتريت قيراط
 من اخويا من ورايا وادي فلوسك اهه.
 قاله معند ناش أرض للبيع، أبوك كان مزارع عندي في يوم.
 وراح بني في البلد اللي جنبنا.
 العمدة قال لعدوي.. ما ينفعش حد يكون له أملاك هنا
 غيري.. واللي يفكر أو ياخذ منها حته هضربه بالنار وأي حد
 من الغضر يشيلها.

ارسل هذا التصميم لعبد الخالق بيه.
 أليس هذا الرسم هو ما رأيته في منزلك منذ عشر سنوات
 على الحائط.
 نعم.

وهذا ماكيت له على مكتبك أيضًا،
 جميل، أنت الذي صممته مسيو عوضين.

لا في الواقع..

صممه شخص آخر على صفحة الماء لكن ينقصه شيء واحد.

ما هو.

ليس الآن.. ارسل التصميم كما أريدك أن ترسل هذا التصميم معه.

إنه لمسجد كبير في إحدى المدن يا حفيظ،

السيد عبد الخالق يعلم كل شيء وقد اشترى قطعة أرض كبيرة له.

استأذنتك..

ثم أمسك بالماكيت وأسند مقعده للخلف.

وايه تاني يا امه.

الفصل الثاني

المزرعة تكون على شكل سفينة. عشانك أنت يا عوضين ما
تسبيش أمك وتهاجر.
تعرفي يا امه ترسميها.
لا أنت بقى تعملها.
هو في سفينة من غير ميه.
آه صحيح.
ما هي التربة أهه قدام المزرعة.
لا وكده عملنا إيه هتنزل بردو تحط سفينتك في التربة.
فكر فيها بقى وأنا رايحة اشوف ابوك.
ها عملت إيه.
أرسلت له التصميم وقال إنه سيرسله لمهندس يدعى زين سويلم.
في نظري إنه كان من الأفضل أن ترسل له هذا الماكيت لأنه
أوضح من التصميم.
امشي يا ابن الكلب اطلع ذاكر.

مين ده يا عم عدوي .. الواد بيضحك وجرى وقف هناك .
هو كده يحب يسمعي اشتهمه .
غلبان زي ابوه اسمه عوضين وابوه عاوزه يتعلم هو واخوه ..
التعليم كويس يا بشمهندس زين .
الله يرحمه أبوك اسماعيل كان بيقول كده للعمدة لما قال له
طلّع ولادك يساعدوك في الغيط وازرع أربع فدادين بدل اتين .
أبوك قاله لا هزرع أربعة وحدي وهمّا في التعليم ،
اشمعي أنت ولادك بيتعلموا يا عمدة .
هتجيب ولادي لولادك يا ابن ستين كلب .
وضربه بالقلم قدامنا ..
الله يرحمه أبوك مات فيها من الحسرة وأمك خدتكوا عند
جدك في المنصورة .
الله يرحمه يا عم عدوي
زي ما قلت لك مرضيش وقاللي أرجع لك الفلوس
عدهم أهه .
لا يا عم عدوي حد يعد وراك .
والله لتعد يلا يا ابني دي أمانة ،

الفلوس طارت أهه .

تعالى يا واد يا عوضين لِمِ الفلوس بتاعة المهندس زين .

انت مهندس .

آه يا عوضين ..

عرفت اسمي ازاي وأنا معرفش اسمك .

خَلِّص يا ولا .. لميتهم .

آه كلهم يا عم عدوي .

طب هاتهم .

أنا مهندس ببني بيوت يا عوضين .

تعرف تبني مزرعة .

مزرعة وز وبط .

آه وابني كل حاجة .

طب ممكن تبني لي واحدة .

سيبك منه هياكل راسك .

لا أنا همشي معاه بقى يا عم عدوي واروح أنا من ع الطريق .

هنا .. في النص فدان ده عاوزين نبنيها .

المكان جميل بس دي أرض العمدة ما بيعش لحد يا عوضين .

زعلت.

وهنا جامع ومزرعة 5 أداور على شكل سفينة.

ممممم سفينة.

آه..

طيب يا عوضين حاضر.. هعملها لك عشان ما تزعلش.

مع السلامة.

بالسلامة يا عوضين.

مساء الخير يا بشمهندس.

وصل لك التصميم.

مين اللي ادحوالك.

أنت.

ازاي.

مش فاكرني.

صح أيوه أنا عوضين عليوة.

عارف يا بشمهندس زين وممكن أبعث لك الماكيث

الدنيا ضيقة يا بشمهندس.

أكيد طبعًا كما وصلني تصميم لمسجد كبير.

صح، لكن مفيش حد يعرف حاجة ولا مين صاحب العزبة
الحقيقي.

عارف أنك فرحان.

الله يرحمه أبويا مات من زعله ع ضربه القلم
كمان هتلاقي اخويا هناك ميعرفش حاجة.
فاهم طبعا..

وفي شيك هيوصلك من عبد الخالق بيه.
لا.. بنته هبة خطيبتي.

أول ما نخلص المزرعة يا هندسة تبقى تصمم كوشة الفرخ
ولا يهملك.

مع السلامة.

صبر قليلك بحمد وحلم

صبرك ع نفسك ولا أنك تواعدها

هانت يا امه بقى القليل على حلمك

امه تعالي استني

أبوك بينادي.. ما أنا قعدت معاك ساعتين.

استني بس عاوز أوريلك حاجة.

عاين إيه تحت السرير .

دي يا امه .

الله ..

دي مزرعة وجامع .

ودي سجر الكافور بتاع ابوك .

والميه أهه يا امه فوق ،

هنا يا امه داير ما يدور حوالين الدور الخامس من جوه ..

هحط هنا سرير كبير ليا أنا وابوك .

هاخده اعينه تاني تحت السرير يا امه واوعي تقولي لحد .

أنت اللي عملته .

المهندس زين .

أنا قابلته مع عم عدوي وخذته الأرض وشافها وقاللي هعمله

وبعته مع عم عدوي .

هو هنا لو عاوزة تشوفيه يا امه تعالي .

طيب اسيبك تذاكر بقى .

واوعي تنسي كلامي .

ثم عادت مرة أخرى ..

عوضين ..
 حلم الجعان .. عوضين
 انهاردة يا امه اكتمل حلمك
 ولم يبق إلا النزول إلى البلد كسيّد .
 ابن الأصول لازم يكون سيدها
 عارف يا عوضين بعد ما بقيت مقطوعة من سجرة وخالك
 هج وما رجفش،
 ما بقاش ليا غيركم أنتوا الاتنين وابوك،
 أبوك تاعبني بس الدنيا تعبته قبلي فمفيش منه رجا إنه
 يريحني .
 بس أنت غيرهم يا عوضين . أنت حته مني .. أنت اللي بتحلم
 لي يا ابني .
 أنا مبعرفش احلم وكل ما احلم تيجي الدنيا عليا أصحى على
 صوت ابوك بيقولها : إنتي اتهلتي وخليتي عوضين زيك .
 أنت الحلم بتاعي يا ابني . أنت اللي بتسعدني،
 عارف أكثر حاجة بتخليني اعيط ..
 إنه يجي عليا اليوم اللي كل واحد يشوفني يسألني

فین عوضین یا عطیات.

واسکت وما عرفش ارد.

اوعی تخلینی اسمعها یا ابني.

فین عوضین.

الفصل الثالث

في إيه يا أستاذ حسانين.

البلد مقلوبة وناس كتير معاهم سلاح واقفين على التربة

صاحب الأرض الجديد جاي يشوفها،

والراجل قال عاوز البلد كلها عند الأرض،

عند النص فدان.

ع صلاة العصر في الجامع الكبير،

كبير قوي وهيساع كل الناس.

احنا شفنا عربيات كتير بتنزّل أنارب وبط ووز وفراخ.

آه ما هي السفينة دي مزرعة كبيرة.

أيوة لازم نيجي يمكن يوزّع علينا وز وبط،

بيقولوا راجل غني قوي من مصر.

آه ما هو اشتراها ب ٧٠ مليون.

طب ما تقول تصلوا في الجامع أحسن

واسع وكله سجاد وأنوار ولا بتاع العمدة.

يقف الجمع منتظرًا داخل المسجد الجديد الذي أُطلق عليه
مسجد العين، كما تم فرش السجاد حول المسجد تحت ظل
أشجار الكافور وفضلّ البعض الجلوس خارجًا تحت ظلها الذي
حرّك الهواء، فقاوم البعض النعاس، يشاهدون جميعًا سيارات
تقف تحمل الماء لأعلى.

ده عشان البط والوز يا حسانين.

يمكن يا بشمهندس مازن.

يعني لو كنا عملنا هنا مزرعة في أرض ابوك وما بعناهاش
مش كان أحسن.

تاني يا رؤوف.

خلاص أنت أخذت ٣٥ مليون وأنا زيك وفضّت. اشتري أرض
في البلد اللي جنبنا لو عاوز.

هو اتأخر ليه يا جدعان القعدة هنا في الضلة خلّتي انعس.
نام يا سيدي الدنيا واسعة.

مش ده زين اللي ابوك ضرب ابوه بالقلم.

آه هو.

وده جاي ليه.

معرفش والله يا أستاذ رؤوف يمكن صاحب الأرض يعرفه.

سلم ع الجميع من بعيد وصعد لأعلى للمزرعة منادياً على حسانين.
وقفت خمسين سيارة في الطريق بجوار التربة
كان منظرها كفيلاً بجعل الجميع يقف منتبها حتى حسانين
نزل سريعاً. تتقدمها سيارة مرسيدس سوداء بزجاج أسود.
مش هتنزل يا حبيبي السواق واقف.
إنتي يا امه تستخسري فينا الوز وتبيعيه للناس الغريبة،
نفسى آكل وزه كاملة..
أبداً يا حسانين والله ع عيني.
ندرن عليا يا عوضين يوم ما تتخرج من التعليم وتبقي أستاذ
لاوزع وز ويط على الجيران.
وانتي حيلتك حاجة يا ولية توزعيها.
سيبها تحلم يا ابه.
حلم الجعان عيش يا واد يا حسانين.
لا . حلم الجعان عوضين يا ابه.
افتح الباب..
نزل من سيارته ومعه خطيبته وتبعه مدير أعماله حفيظ .
لكن حماه عبد الخالق عجاج قد تقدّم وحوله حراسته.
أهلاً يا باشا..

هو ده يا مازن اللي اشترى الأرض ووقع العقد معايا .
 اهلا يا افندم .. ابن العمدة صح .
 أيوة يا باشا وهذا أخي مازن .
 أهلاً ..

عوضين أخويا .

آه والله ده عوضين ..

أهلاً عوضين باشا .. جاءه زين سريعاً ليسلم عليه .

الناس أخذت الوز والبط والفراخ يا حسانين .

آه .. وأنت عرفت ازاي .

شكله شغال مع الباشا ده ولا كان مسافر ولا يحزنون .

ها يا بشمهندس مازن ..

طلعت الصندوقين .

أيوه يا باشا وكل صندوق اتفرغ في ناحية والمية حوالها يا

عوضين باشا .

والمسجد الآخر .

تم الانتهاء منه كاملاً، وفرشه وإضاءته وقبل ذلك تم دفن

الملابس التي أرسلها السيد عبد الخالق مع سائقه تحت منبره

تماماً، وقد قمت بصلاة الغائب مع الإمام والمؤذن على روح المتوفى بعد صلاة الظهر قبل وصولي إلى هنا وأغلقناه، وتم دعوة الجميع لافتتاحه في صلاة المغرب، وتم الاتفاق مع أحد القراء المشهورين لتلاوة القرآن وسوف يأتي إلى هنا للتلاوة أيضاً في هذا المسجد عند صلاة العشاء مع السائق..

وتم وضع لافتة كبيرة قرب بابه الرئيسي تحمل الاسم الذي أمرت به.. مسجد العدوي
باشا.

وسيدهم كمان.. ردت خطيبته.

في الواقع يا جماعة إن عوضين باشا هو صاحب الأرض..
المتين فدان والمزرعة ومن قام ببناء المسجد.

فعلاً.. ردت خطيبته والمهندس زين على ملك البلاستيك.

إضافة إلى إنه خطيب بنتي اللي واقفة جنبه.

ابن الكلاف اشترى أرض ابوك يا مازن. شفت

اسكت وطّي صوتك..

لا مش هوطي.. ياخذ الفلوس تاني ويسيب الأرض

نظر له عوضين نظرة ابتسام..

الله يرحمك يا ابيه قالها بصوت عال.. وخطى خطوات نحو

شجر الكافور وأمسك بواحدة منها يتبعه الجميع بنظراتهم.

الشجرة دي زرعها ابويا . وكانوا أربعة وقطع واحدة بس وكان
السرير ضيق .. كنا أنا وحسانين بنام خلف خلاف عشان العمدة
حلف على ابويا ما يقطع غير شجرة واحدة .

أمي قالت له لازم تزرع أكثر وأكثر داير ما يدور ،
كل شجرة من الأربعة أنا ممكن ابيعها بخمسة وعشرين مليون ..
الأرض دي ملكي وبعث منها 100 فدان لواحد تاني .
اللي يفكر لحظة إنه ممكن ياخذها يقرأ عقد البيع الأول
بدال ما اقطع رجله .

معايا يا باشا .

أقرأ يا حفيظ قدام الناس ..

وقد اتفق الطرفان على شرط جزائي وقدره 100 مليون جنية
وقد أقر الطرفان بذلك .

وفي الواقع إنني أملك 100 مليون لكنني لن أخلّ بالتعاقد .

أخذت بط ووز يا أستاذ رؤوف .

اديله يا حسانين أربعة مش واحدة بس .

لمح الجميع دمعاً في عينيه بينما يأمر أخاه الأصغر
بالانصراف .

لكن المهندس زين ضحك بصوت عال ..

والجميع بين مندهش ومعجب وآخر يطلب طيورًا أثقل وزنًا.
لكنه صعد وحيدًا للمزرعة ووقف بعض الحراس على المدخل
وراحت خطيبته ووالدها يتنزهان حول أشجار الكافور.
أخرج ورقة بيضاء ووضعها في الماء حول القبرين.
تحركت السفينة الورقية حول القبرين تلف وتدور
مخلوش حد يعدي إلا أنا.
معامهم أوامر بكده أنت بس يا اخويا اللي تطلع.
بردو لسه بتعمل سفن ورق.
ضحك بصوت عال حتى إن حسانين تفاجأ.
ياه يا اخويا.. من زمان ما ضحككش كده.
ضحكتك زي ضحكة امك الله يرحمها، أبوك كان بيقول كده.
بس أنا ما عملتش سفينة من يومها يا حسانين،
أوقفها وقربها لعينيه ثم أعادها للماء..
إنها تحمل نفس التاريخ.
ضحك حسانين..
بينما هو ينظر إليها في قبرها وحولها الماء وتجري حيث لا
معيق.

مبسوطة يا امه.

بتكلم مين يا عوضين.

أمك..

هي فين الله يرحمها.

تعالى نزل بس الأول خد العقد ده اقراه أما ارد على التليفون.

مش مهم، هذا حقنا. فأنا وأخي وريثا رُفاتهما الشرعي كما

أن هذا النصف فدان أصبح ملكي الآن.

قالها على الهاتف لمحامييه والتفت لأخيه الذي كان يقرأ

وينظر له متعجبًا..

في الواقع كل الأرض هنا.

أولها وآخرها حتى بيوتنا دي ملكه يا عوضين.

لا.. بل أصبحت أملاكي أنا.

حتى جامعه الصغير أصبح لي الآن بالارض التي عليها

وشخص آخر.

مين ده يا عوضين.

ملكي أنا وأنت. ألم تقرأ العقد.

أنا فرحان ليك أوي يا اخويا.

بقي عندك ٢٠٠ فدان الناس كلها تحت منها اللي فرحان
ومنها اللي بيخبي زعله في الوز والبط.

أنت ليه يا ابه عزمت عليه ياكل معانا مع إن أمي دايمًا بتقول
الراجل ده بيكرهنا.

آه يا ابني عشان كان عاوز ابوك يطلعكم من التعليم وتبقوا
زي ولاده كلافين.

اللقمة في الفم بتكسر السم في القلب يا عوضين،
الله يرحمه.

أنا دلوقت مش بشتغل في أرض الغرب بل في أرض أخي
الأصفر.

لكنك لن تعمل لدي من الآن يا حسانين.

ليه يا اخويا.

طرردتتي.

مكسوف من اخوك إنه كان خولي العمدة طوال خمس عشر
عامًا وأنت في فرنسا.

أعوذ بالله.. أنت أخي الوحيد.. دونك بعد وفاة والدينا أصبح
مقطوعًا من سجرة كما كانت تنطقها والدتك.

الله يرحمها.

ما تقرا العقد يا حسانيين ..

بسم الله الرحمن الرحيم

مميمم

وتم الاتفاق على الشروط التالية:

باع الطرف الأول للطرف الثاني قطعة الأرض الزراعية

والواقعة في:

ومساحتها الإجمالية ١٠٠ فدان، وواجهاتها كالاتي:

مميمم وقد قبل المشتري الشراء بالثمن المذكور أعلاه

وبنفس المعلومات المذكورة وقام بدفع مبلغ ٣٥ جنيهاً وقبل

البائع كقيمة إجمالية لكل ثمن الأرض وتم استلامها نقدًا وعدًا

وأقرّ البائع بذلك..

١٠٠ فدان وبخمسة وثلاثين جنيه.

ده الفدان بأرض العمدة بتلتمية وخمسين ألف جنيه،

مش أنت اشتريت الأرض بالثمن ده يا عوضين

ده كلام مين ضحك عليك يا اخويا.

موافق على ذلك إذا كنت قد بعته لأخي الوحيد.

أنا يا عوضين..

آه. أنت شريكي في كل هذه الأرض، ولذا فأنت لن تعمل عند

أحد. لا أنا ولا العمدة، بل ستعمل في أرضك، وأنا أتركها جميعها

لك لإدارتها وخبرتك معها، ومعرفتك بالمزارعين وسأتفرغ أنا
لشركتي بالقاهرة وعليك فقط تدوين كل شيء والأرباح نقتسمها
يا أخي بما يرضي الله.

فاكر كلام امك يا حسانين يوم ما تخانقنا أول مرة وضربتني
عشان مين ينام ناحية وش السرير ومين ينام خلف خلاف.
وكانت آخر مرة يا اخويا.

اغلب كل الناس يا عوضين وفوز عليهم وازعل قوي لو اتغلبت
إلا من اخوك. اتغلب لأخوك يا عوضين ده مكسب يا ابني.
ربنا ما يحرمكوا من بعض يا ولادي.

يا رب يا عوضين.
ولكن إذا قرأت العقد ستجد بندًا مهمًا، رجاءً اقرأها للنهاية.
معلش فرحتي خلتي مش مركّز يا عوضين..

البند العاشر: تقع الأرض والمحددة بنصف فدان في الحوض
الشرقي وجميع الإنشاءات المُقامة والتي ستقام عليها والتالية
حدودها.. والحد الغربي . ترعة ميت مهاجر.. ضمن أملاك السيد/
عوضين عليوة أسعد السعيد، وقد وافق الطرفين على ذلك.

النص فدان اللي كان ابوك زراعه

لا . النص فدان اللي امك كانت بتعلم بيه يا حسانين.

إنتي اتجننتي يا عطيات، احنا لاقين نوكل الوزتين لما نشتري نص
فدان بتاع العمدة. لا وكمان عاوزة تعمل عليه مزرعة خمس ادوار.
بتحلم يا ابه.. سيبها تحلم.

حلم الجعان عيش يا عوضين مش نص فدان يا ابني.
أبوك كان معاه حق يا عوضين يومها،

لأن هذا المثل يُضرب لتكريس الواقعية منهج للحياة. أبوك
كان واقعيًا لكنها كانت حالمة دومًا. الواقع ليس منهجًا للحياة يا
أخي وإن كان كذلك فلن يحدث أي تغيير وستصبح الحياة مملة
كئيبية رتيبة حزينة.

الحزن يا ابني لو في يوم طوّل

يموت قلوب ويفسدها

صبر قلبك بحمد وحلم

صبرك ع نفسك ولا انك تواعدها

طب يا مخبولة ما هو عندنا جامع اللي العمدة بناه على
قيراط. عاوزة كمان عملي جامع كبير وعالي،
أما إنك صحيح اتهلتي. روعي نامي يلا.

دخلت يومها لغرفتها وأنا أسمع حديثهما لكنها عادت بعد
ساعة بعد أن دخل أبوك للغرفة.

وجاءت حاملة كوب شاي وجلست صامته تنظر إلي.
في إيه يا امه .

ذاكر يا عوضين أنا عاوزة اقعد معاك .

طيب هسيب الكتاب أهه ونتكلم .

لا .. أنا عاوزة أقعد كده أبص لك وأنت بتذاكر .

ما هو مش هعرف اذاكر وحد كده ببص لي .

طب أنا رايحة انام .

لا .. خليك قاعدة .

أبوك معاه حق يا عوضين . السرير ده أبوك عمله بسجرة
واحدة من سجر الكافور اللي زرعه كانوا أربعة بس .

العمدة اشترط عليه لما شاف السجر كبر إنه ياخذ واحدة
بس ويسيب الباقي . أبوك ايده خضرا يا عوضين .

يعني إيه يا امه .

يعني أما يمسك بذرة بأيده ويحطها في الأرض لازم تطلع
وترعرع . ما أنت شايف كل الناس بتغير منه ع النص فدان .

الغلة اللي بتطلع منها زي الغلة اللي بتطلع من الفدانين اللي
زارعهم عمك كمال . أبوك زعل يومها قوي .

شوفي الراجل المفترى حلف عليًا ما اقطعش غير سجرة واحدة .

ما يناموا ع الارض يا اخويا .. قالها وهو ماشي . طب طلاق
تلاته لنشفهم ليه .

لا يا عليوة . اوعى تتشفهم اسقيهم زي الغلة اللي بتزرعها
بالظبط وخذ بالك منهم . الشجر ده ثواب زيه زي جامع العمدة
بالظبط . كفاية إني أمّا بروح النص فدان دلوقتي بقعد في
الضلة بتاعتهم .

وأنا كمان يا امه بحب اقعد تحتهم اذاكر .

عارفة وعشان كده مخلتوش بردو ينشفهم يا ابني .

عشاني .

وعشانه يا عوضين . اللي ايده ريك عملها خضرا يا ولدي
يسيبها خضرا يا عوضين .

محدث عارف بكرة مين تاني غيرنا يضل في سجرك يا
عليوة .

حاضر يا عطيات عشان خاطر ك هزرع كمان غيرهم .

داير ما يدور يا عليوة حولين النص فدان ،

انت مش شايف الناس زارعة سجر حولين الجبانة ، حتي

الميتين عاوزين الضلّة يا عليوة .

استنى أنا سمعتك بتقول رفات .

رفات مين .

عطيات وعلوية يا حسانين أهم قدامك .

يلا بينا يا اخويا

بينما ينزل نظر للخلف وأمسك بيدي أخيه الذي وضع يديه

على كتفه فرحًا ينظر له بإعجاب .

أحسّها تهمس له كما كانت تقولها حينما تدخل للمنزل في

كل وقت .

امال فين اخوك عوضين يا حسانين .

أيوة يا امه ..

أنا هنا .

عن المؤلف

- طبيب بشري حاصل على بكالوريوس الطب والجراحة جامعه الزقازيق.
- ماجستير طب الاسرة Family Medicine .. جامعه قناه السويس ..
- عضو المنظمة العالمية لأطباء الأسرة WONCA
- عضو الاكاديمية الامريكية لأطباء الأسرة AAFP
- عضو اتحاد الأطباء العرب
- عضو اتحاد كتاب مصر
- يعمل حاليًا في دولة الكويت بوزارة الصحة.
- مهتم بالتثقيف الطبي الصحيح من خلال صفحته علي الفيس بوك: DR. Ozores .. وموقعه الالكتروني علي الانترنت www.dr-ozores.co
- معظم كتبه في سلاسل وصدر له حتى الآن: هكذا علمني الطب، ساعة فضا، وفي أنفسكم، كيف تتحكم بهم، أسرار

السعادة الزوجية، حضرتي طبيب نفساوي. 100 قرش
مجموعة قصصية، طلاق ثلاثة مجموعة قصصية، أبو
سارابوزا رواية.. والرواية التي بين أياديكم

إصدارات في الطريق

- كيف تتحكم بهم (سلسلة متجددة)
- هكذا علمني الطب (سلسلة متجددة)
- حضرتي دكتور نفساوي (سلسلة متجددة)
- وفي أنفسكم (سلسلة متجددة)
- ساعة فضا (سلسلة متجددة)
- أسرار السعادة الزوجية (سلسلة متجددة)
- مملكة عتريس (رواية)
- اكسلانس (رواية)
- عزبة الأربع (رواية)
- الدور الثامن (رواية)
- تينا (رواية)
- التائب (رواية)
- الحاج كوهين (مجموعة قصصية)
- النظرية السداسية للحب

- هذا الزواج.. باطل
- اختزال المعنى وحضارة المادة
- غر كريم وخب لئيم
- كيمياء الأخلاق
- أكذوبة الوزن المثالي
- دع الإخصاب جانبًا
- الأمر اللذيذ
- فذوقوا فما للظالمين من نصير
- للفقر فوائد لهم
- ألا يعلم من خلق
- سرقات متحضرة
- في مربع الجسد
- مسدس الارتداد المثالي
- شجرة الخلد وملك لا يبلي
- كيف تنتصر
- المراهقة مرحلة صحية
- فن صناعة الخرفان

- خمسة عين راحت فين
- 250 فائدة للرضاعة الطبيعية
- مرض السكر قطار الطبيعة
- القاتل الصامت
- الربو .. زائر متقطع
- فقر الدم
- القولون العصبي
- أكذوبة الكوليسترول

